الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أدرار

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

أدب الرحلة عند محمّد الخَضِر حُسين (الرحلة الجزائرية)أنموذجا

بحث مقدّم لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص دراسات جزائرية في اللغة والأدب

إعداد الطالبة:

بورقبة مريم.

إشراف الدكتور:

قوراري سليمان

السنة الجامعية: 1433/ 1434 –هـ2012 /2013 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أمي الحبيبة حفظك الله ورعاك

إلى روح والدي العزيز أسكنه الله فسيح جنانه.

إلى إخوتي وأخواتي كل واحد باسمه

إلى كل قوافل الرحّالة المغامرين

إلى كل من وسعهم قلبي ولم يسعهم قلمي

أهدي هذا العمل.

شكر وعرفان

الشكر لله سبحانه وتعالى على نعمة الأخذ بأيدينا في إنجاز هذا العمل.

أتقدم بخالص شكري، وعظيم احترامي الى أستاذي المشرف الدكتور: قوراري سليمان ، الذي أشرف على هذا البحث، وتعهّده منذ أن كان مجرّد فكرة إلى أن استوى على أشدّه مكتمل البيان، ممتد الأغصان وافر الظلال.

كما لا أنسى أن أشكر كلاً من الأساتذة: حدباوي العلمي، الطاهر مشري ،عبد الله كروم، على ما قدموه لي من عون،وأدعو الله العلي القدير أن يجعله في ميزان حسناتهم يوم القيامة، وبارك الله فيهم ، وأعلى بين الصالحين درجاتهم.

والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرّحيم وصلّى الله على سيدنا محمّد و بعد:

مثّل أدب الرحلة موضوعا ممتعا وشيّقا لكثير من الرّحالة و المغامرين،وشكّل محور العديد من الكتب المعرفية الموسوعية،كما استقطب اهتمام الكتّاب الرّحالة الذين وصفوا ما انتابهم من مشاعر وأحاسيس،و عبّروا عن ميولاتهم و انطباعاتهم الفكرية، وشيئا من معارفهم المتعدّدة،حتى يصدق القول على أدب الرحلة بأنه الأخذ من كلّ شيء بطرف،لأجل ذلك صارت الرحلة بعد تدوينها كشكول معارف، يجد فيه كل ذي رغبة ضالّته الدينية،والسياسية، و الاجتماعية،و الثقافية، و الاقتصادية...الخ.

ومن ثمّ فإنّ الرحلة باتت تشكّل لوحدها وثيقة هامة، يجد فيها الباحثون كثيرا من الإجابات عن التساؤلات العديدة،التي كانت تراودهم حينا من الدّهر،لأجل ذلك توجّت عناية الجامعات العصرية اليوم، إلى الاهتمام بأدب الرّحلات،وتخصيص مقاييس تهتّم بهذا الجانب،لتزويد الطّلبة بكل ما يحتاجونه حول هذا الأدب،وتوجيها لهم لطَرْق هذا الباب،الذي يحتاج لكثير من المعاناة،والدّرس المتواصل.

وتحقيقا لرغبة البحث كانت الرؤية أن يكون موضوع هذه المذكرة حول أدب الرحلة عند محمّد الخضر حسين (الرحلة الجزائرية) أنموذجا.

إنّ الدّافع الأساسي الداعي إلى التزام دراسة كهذه؛هو نقص الدراسات أو الجهود التحليلية (نقدية، وصفية، سيميائية...)للنص الرحلي،لذلك فإنّ هذا البحث هو محاولة لقراءة نص الرحلة في التاريخ الحديث،وهي رحلة الشيخ "محمّد الخَضِر حسين" إلى مملكة الجزائر،التي عُنيت بالتّحقيق و النشر ،ومن أبرز المحققين لها الباحث محمّد صالح الجابري،الذي اعتمدناه في دراستنا هذه.

فالرحلة الجزائرية تؤرّخ لحقبة زمنية حاسمة، وحسّاسة من تاريخ الجزائر المستعمَرة،والأمة العربية و الإسلامية على حدٍ سواء ،كما تُبرز عدّة جوانب من تلك الحياة الثقافية، والفكرية، والدينية، و الاجتماعية...لها.

وهناك عدّة دراسات التفتت إلى الكتابة في هذا الموضوع ،و نذكر مثالا عن ذلك ؛سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي ،للطالب بولعسل كمال،رسالة ماجستير،إشراف يوسف وغليسي،قسم اللغة العربية و آدابها جامعة منتوري قسنطينة،2005-2006م.

- فاطمة بوطبسو،أدبية الخطاب في رحلة"نور الأندلس"لأمين الرّيحاني،رسالة ماجستير،إشراف عبد الله حمادي،جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات،2010-2011م.

وقد انطلق البحث من إشكالية كانت تؤرّقه،وتبحث بإلحاح على أجوبة موضوعية،ومن أبرز معالم هذه الإشكالية:

-كيف كان نصيب الرحلة في أدب الشيخ محمّد الخضر حسين؟

وَ ما هي أبرز تجليات أدب الرحلة عنده؟

ثمّ ما هي أهم الغايات التي سعى لتحقيقها من خلال الرحلة الجزائرية؟

وهل كان هناك غايات مُضمرة داخل النسيج النّصي لهذه الرحلة؟

وهل استطاعت أن ترصُد لنا أوجه الحياة الجزائرية أثناء الفترة الاستعمارية؟

هذه بعض من أسئلتنا المحورية ،نحاول من خلال الدراسة الإجابة عنها قدر المستطاع.

أما عن أهداف البحث فنجملها في النقاط التالية:

1-لفت الاهتمام لهذا المتن الخصب من جهة،وإعادة الاعتبار للدراسة الوصفية التحليلية،خاصّة بعد بروز إشكالية التجنيس في أدب الرّحلات،وحواريته مع نصوص أخرى جغرافية،تاريخية،ثقافية...الخ،

2-تحقيق قراءة منتجة لنص الرّحلة.

3-البحث عن وظيفة الرّحلة في التراث الثقافي و الديني والاجتماعي،وربطها ببُنية نص الرحلة.

ولبلوغ هدفنا تهيّأ البحث على خطّة قِوامها هذه المقدمة و يتلوها مدخل،ثم فصلان رئيسيان في كل فصل مبحثين فرعيين:

كانت عتبة المدخل قراءة في مصطلحات العنوان،ويحوي مبحثان :التعريف بأدب الرّحلات أولا،ونبذة عن الشيخ محمّد الخَضر حُسين ثانيا،من خلال إبراز أهم محطّات حياته،وشيئا من مؤلّفاته النّفيسة.

أما الفصل الأول فكان دراسة نظرية حول الرحلة والرحّالة؛عرضنا في المبحث الأول دواعي الرحلة و أنواعها و أهميتها، و في المبحث الثاني نشأة الرحلة،وتطورها عبر العالم الغربي و العربي .

ثم الفصل الثاني وكان محوره أدب الرحلة عند محمّد الخَضِر حُسين،و فيه مبحثان ؛المبحث الأول ماهية الرحلة عند محمّد الخضر حسين،وتبرُز فيه خصائصها و دوافعها وأهدافها،ثم قيمة الرحلة وأهميتها.

وأخيرا وليس آخرا المبحث الثاني وضمّ الدراسة التطبيقية، الوصفية التحليلية للرحلة الجزائرية، بالدّراسة و التحليل أحداثا و شخصيات،زمانا ومكانا، ثم وقفا ومعجما،ومسك هذا كلّه خاتمة تضمنّت خلاصة البحث.

ونظرا لتعدد جوانب الموضوع ،الذي يجمع بين النشأة والتطور من جهة ،والوصف و التحليل من جهة أخرى،كان الاعتماد في هذه الدراسة على؛ المنهج التاريخي أثناء تتبّعنا لحياة الشيخ محمّد الخَضر حسين ،وتحديد المسار التاريخي للرحلة،وإبراز عوامل نشأتها وتطورها،وكذا المنهج الوصفي المعتمد في الدراسة التطبيقية و المتّخذ من التحليل أداة مساعدة له،كونه الأقرب للوصول إلى الهدف المنشود، في تحليل ودراسة الرحلة الجزائرية لصاحبها محمّد الخَضِر حسين.

وقد استفدنا في بحثنا بقائمة نظن أنّها كانت وافية إلى حد ما في إنجاز موضوعنا،تكوّنت من مصادر ومراجع أساسية كان أهمّها:متن محمّد صالح الجابري رحلات جزائرية،و أحمد أبو سعد: أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي،عبد الرّحيم مودن: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر.

أما المجلّات فنذكر: أحمد عبد العزيز أبو عامر مجلة البيان،ومجلة المجمع العلمي بدمشق.

كما لا تخلو أي دراسة من صعوبات،أذكر من أبرزها صعوبة الحصول على مؤلّفات الشيخ محمّد الخضر حسين رغم طباعتها،مثل كتاب الرّحلات،الذي طبع بالمطبعة التعاونية،بيروت،سنة1396هـ/1976م.

بالإضافة إلى نقص الدراسات التحليلية لبنية الرّحلات.

وأخيرا وقبل ختام هذه المقدّمة آمل أن أكون قد وفقت في أداء الأمانة العلمية المفروضة على أمثال هذه البحوث،شاكرة بلسان حالي ومقالي أستاذي المشرف الدكتور قوراري سليمان،على حسن توجيهه و رعايته لهذا البحث حتى رأى النور وطريق المناقشة،كما أتقدّم بالشكر الجزيل للأساتذة المناقشين ،وذلك على جهدهم في تصويب هذا العمل،ويشهد الله أننا ما ادّخرنا جهدا إلّا و بذلناه خدمة لأهداف البحث العلمي و مقاصده النبيلة ،وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.

مدخل:قراءة في مصطلحات العنوان

المبحث الأول:مفهوم أدب الرّحلة

أولا:لغة.

ثانيا:اصطلاحا.

المبحث الثاني:ترجمة الشيخ محمّد الخضر حسين.

أولا:في تونس.

ثانيا:عدم الاستقرار.

ثالثا:في مصر.

لقد عني أدب الرحلة بالعديد من المواضيع الملتصقة بعدّة علوم أخرى، كالتاريخ والجغرافيا، وعلم الاجتماع ...و هلمّ جرا، والتي تحتاج إلى بيان و تفصيل، فمادام الحديث يتعلق برصد مجموعة من المفردات، التي تكوّن من خلالها عنوان هذا الموضوع، فلابدّ أولا وقبل كل شيء أن نعرّف الرّحلة.

المبحث الأول:مفهوم أدب الرحلة:

أوّلا– لغة :

ورد لفظ الرحلة في عدّة معاجم وقواميس، وعموما يجمع الكل على نفس المدلول.

جاء في مقاييس اللغة مادة (ر ح ل): «الرّاءُ وَالحَاءُ وَاللاّمُ أصلٌ واحدٌ يَدُلُّ عَلَى مضِي فِي سَّفرٍ ... »[1] ،

فنقول: «ارتَحَلَ القَومُ عَنِ المكَانِ اِرتِحَالاً، وَ رَحَلَ عَنِ المكَانِ يَرْحَلُ وَهُوَ رَاحلٌ مِنٍ قَومٍ رُحّل:اِنتَقَلَ...، وَالتّرَحُّلُ والارْتِحالُ: الانتِقَالُ وَهُوَ الرِّحلةُ والرُّحلةُ »[2] ،كما نلاحظ« الاسم الرحلة بالضم والكسر، يقال أنّه لذو رِحلة إلى الملوك، ورُحلة حكاه "اللّحياني"؛ أي ارتحال، أو الرِّحلة بالكسر الارتحال للمسير، يُقال دَنَتْ رِحلَتُنَا،ومنه قوله تعالى ﴿رِحلَةَ الشِّتاءِ و الصّيفِ ﴾[3] ،وبالضم الوجه الذي تقصده وتريده وتأخذ فيه»[4]،وعليه فإنّ الرِّحلة تعني السفر ، والرُّحلة الوجهة.

ومن قبيل ذلك«أرحَلَ فُلانٌ: كثُرت رواحله فهو مُرحِلٌ ...،و الرُحّال: العرب الذين لا يَستقِرُّون في مكان و يَحلُّونَ بماشيتِهم حيث يسقُط الغيثُ وَينبتُ المرعَى» [5]؛أي أنّها نقيض الاستقرار و الثبات.

وبذلك يكون:« رحلة [مفرد] =ج رِحْلات (لغير المصدر)،ورَحلات (لغير المصدر)، ورِحَلُ (لغير المصدر)، رحّال [مفرد]،ج رحّال، و رحّالة، و رُحَّل، و رحّالونَ: صيغة مبالغة من رَحل» [6] .

وممّا سبق بيانه من المفهوم اللغوي يتجلى لنا أن مفهوم الرحلة، يحيل في اللغة العربية على معنى السّفر، والانتقال، و الوجهة أو المقصد الذي يُراد السفر إليه.

ثانيا– اِصطلاحا:

يعدّ أدب الرحلة من أقدم الفنون الأدبية ، التي ازدهرت مع مرور الزمن ، و تطورت بتطور الثقافات، والحضارات ،فأدب الرحلات littérature de voyages هو« مجموعة الآثار الأدبية، تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة ، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق ،لتسجيل دقيق

---

[1]–ابن فارس،معجم مقاييس اللغة،تحقيق: عبد السلام هارون،ج2،ط1،دار الجيل،بيروت،سنة1411هـ–1991م،ص498.

[2]–ابن منظور،لسان العرب،مج11،دار بيروت للطباعة و النشر،بيروت،دت،ص279.

[3]–قريش :2.

[4]–الزبيدي،تاج العروس،ج7،دار صادر بيروت،دت،ص341.

[5]–إبراهيم مصطفى وآخرون،المعجم الوسيط،تحقيق: مجمع اللغة العربية،ج2،دار الدعوة،دت،ص335,334.

[6]–أحمد مختار عمر وآخرون،معجم اللغة العربية المعاصرة،مج1،ط1،عالم الكتب،القاهرة،سنة1429هـ–2008م،ص871.

للمناظر الطبيعية التي يشاهدها،أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة،أو يجمع بين كل هذا في آن واحد»[1]، وحسب تعريف "مجدي وهبة" و "كامل المهندس"؛ فإن الرحلة تتضمن السرد،أو وصف مجرّد للعادات والسلوك والأخلاق،وقد يجتزئ الرّحالة مرحلة واحدة يسلط عليها الضوء.

وعليه فأدب الرحلة «أدب يقوم على السّرد القصصي يضمنه الكاتب الرحالة مشاهداته وانطباعاته في البلاد التي يزورها، وهي تقوم على وصف الطبيعة الجغرافية، أو نبذا عن التاريخ، أو عادات الناس، وتقاليدهم و أنماط عيشهم وتفكيرهم،وهذه الأمور تكون في بعض الأحيان مرجعا وثائقيا هاما،وموضوعا للدراسات المقارنة في مختلف المجالات الفكرية الأدبية والحياتية، ومن شروط أدب الرحلات دقة الملاحظة، وتحري الحقيقة،وسهولة الرواية،وحسن التصرف[2]،وهي من الصفات التي تجب أن تتوفّر في الرّحالة.

من أجل ذلك « يقتضي التأليف فيها ثقافة واسعة ،ودقة في الملاحظة ،والتقاط الملامح المعرِبة، ومشاركة عدد كبير من المعارف لاحتواء الرحلة على معارف، وعلوم متعلقة بالتاريخ ،و الجغرافيا، والفلسفة ، والاجتماع ، و الأدب ، وتفرض الأناقة في تخير المفردات، وصياغة العبارات ، وتنسيق الفصول» [3]، ما يميز الرحلة الأدبية عن غيرها من الرّحلات، اعتناؤها بالأسلوب الذي يكتب بها أولا ثم بالمعلومات التي تتضمّنها.

فنظرا لمتطلبات كتابة فن الرحلة، كانت الحد الفاصل في تبيان أهميتها عن باقي الفنون الأدبية الأخرى،«ولا نبالغ إذا قلنا أن الرحلات من أهم فنون الأدب العربي ،لسبب بسيط وهو أنها خير رد على التهمة التي طالما .اهتم بها هذا الأدب ،ونقصد تهمة قصوره في فن القصة»[4] ، فاقترنت الرحلة مع القصة و المسرحية في قالب الحكي،واشتملت على عناصر الخطاب القصصي،من أحداث و شخصيات وإطار زمني ومكاني.

ومن هذا المنطلق برزت إشكالية التجنيس في هذا الأدب حيث يقول "كراتشكوفسكي":

« أثار هذا الأدب اهتماماً بالغاً بسبب تنوّعه،وغنى مادّته،فهو تارة علمي،وتارة شعبي،وهو طوراً واقعي، وأسطوري على السّواء،تكمن فيه المتعة كما تكمن فيه الفائدة ،لذا فهو يقدّم لنا مادّة دسمة متعددة الجوانب لا يوجد مثيل لها في أدب أي شعب معاصر للعرب» [5]،الذين تميّزوا عن غيرهم ،بكثرة تآليفهم في هذا الأدب الشاسع ،الذي استوفى أغلب تطلعاتهم و اهتماماتهم .

---

[1]-مجدي وهبة و كامل المهندس،معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب،ط2،مكتبة لبنان،بيروت،سنة1984م،ص17.

[2]-فواز الشعار، الموسوعة الثقافية العامة، إشراف: إميل يعقوب، ،ط1،دار الجيل،بيروت،سنة1420هـ-1999م، ص197.

[3]-جبور عبد النور،المعجم الأدبي،ط1،دار العلم للملايين،بيروت،سنة1979م،ص122.

[4]-شوقي ضيف،الرحلات،ط4،دار المعارف،القاهرة،دت،ص8.

[5]-أغناطيوس يوليا نوقتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم، ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،سنة1963م،ص24.

وخلاصة القول أنّ الرّحلة هي دليل القارئ في متاهات المجهول من البلدان و الأجناس يرافقه خطوة خطوة، ويأخذ بيده برفق، ليصل به إلى الغاية الكبرى المتمثلة في الكشف عن كل ما يحيط به، من ظروف، و حيوات على كافة الأصعدة.

المبحث الثاني: ترجمة الشيخ محمد الخَضِر حسين

هو« محمد الأخضر بن الحسين بن علي بن عمر »[1] ،التونسي مولدا -كما تشير أغلب المصادر - الجزائري نسباً،حيث « ينتسب إلى أسرة عريقة في العلم و الشّرف، تعود إلى البيت العمري في بلدة (طولقة) جنوب الجزائر،وقد رحل والده إلى (نفطة) من بلاد الجريد بتونس، بصحبة صهره "مصطفى بن عزوز"، ومما يدل على عراقة أسرته في العلم: أنّ منها جده "مصطفى بن عزوز"،وأبو جدّه لأمه "محمّد بن عزوز"من أفاضل علماء تونس،وخاله"محمّد المكي"من كبار العلماء، كان موضع إجلال في الخلافة العثمانية»[2] ، وبذلك شكلت عائلته سلسلة من العلماء، استطاعت أن تفرض نفسها في الساحة العلمية، ،وفي كنفها ورعايتها ولد شيخنا الصغير.

وسنتتبّع حياة الشيخ في ثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى في تونس: مسقط رأسه و نشأته و تعليمه الأول.

وعن مولده-رحمه الله- فقد« ولد في اليوم السادس و العشرين من رجب عام 1293 في (نفطة) بلد بالقطر التونسي»[3]، الموافق ل16 أغسطس (أوت) سنة 1876م،وقيل أنه ولد« (بطولقة) بسكرة في 1873/07/21م [4] »؛ أي أنه ولد بالجزائر قبل رحيل أسرته إلى الديار التونسية،وقيل ولد« بقفصة سنة1292هـ[5]»،الموافق ل1875م، غير أننا نرجح الرواية الأولى لأنها واردة في أغلب المصادر.

وفي (نفطة) كانت نشأته الأولى التي تأثر فيها بأبيه و بخاله ،« فاشتغل بالعلم بعد أن حفظ القرآن، ، وفي آخر سنة (1306هـ) رحل مع أبيه وأسرته إلى القاعدة التونسية ، فدخل الكلية الزيتونية سنة (1307هـ)، وقرأ على أشهر أساتذتها ،وتخرّج عليهم في العلوم الدينية واللغوية ،ونبغ فيها وفي غيرها، فطُلب لتولي بعض الخُطط

---

[1] -يوسف وغليسي،رسائل العلّامة محمّد الخَضر حسين قراءة في التواصل اللغوي ووظائفه،مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج84، ج4، ص991.

[2] -أحمد عبد العزيز أبو عامر، الشيخ محمد الخضر حسين، مجلة البيان، ع3، المنتدى الإسلامي، الإصدار الأول، ربيع الآخر 1407هـ /ديسمبر1986م،ص73.

[3] - خير الدين الزركلي، الأعلام، مج6، ط14، دار العلم للملايين، بيروت، فبراير1999م، ص114.

[4] - رابح خدوسي،موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين،دار الحضارة،الجزائر،سنة2002م،ص42.

[5] - عمر رضا كحالة،معجم المؤلفين"تراجم مصنفي الكتب العربية"،ج9،دار إحياء التراث العربي،بيروت،دت،ص240

العلمية قبل إتمام دراسته ، لكنه أبى و واظب على حضور دروس العلماء و الأكابر » [1] والفقهاء،نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:"عمر بن الشيخ"،و"الشيخ محمّد النجّار"وكانا يُدرّسانه التفسير.

لقد تفانى الشيخ الشاب في طلب العلم، و اجتهد في تحصيله للعلوم المختلفة،وعبر طريقه نال العديد من الشهادات الشرفية،التي زادته إقبالا أكثر،للاغتراف من منابع العلم الصافية،والذهاب إلى مصادره النقية، وقيامه برحلات عديدة في البلاد الإسلامية،و تقلبه للعديد من المناصب التعليمية و الإدارية ، ومن ذلك كله شكلنا النقاط التالية:

- «تخرّج من جامع الزيتونة عام 1316هـ، حيث نال شهادة(التطويع) التي تخول حاملها إلقاء الدروس في الزيتونة تطوعا، »[2]، فذاع صيته وكبرت مكانته.
- قيامه بأوّل رحلة«سنة (1317هـ)، لكنه لم يبلغ (طرابلس) حتى اضطر للرجوع بعد أن أقام بها أياما ، فلازم جامع الزيتونة ، يفيد و يستفيد »[3]،ويتفرغ للتعليم فيه.
- ثم تأتي رحلتاه إلى (الجزائر) سنة 1321هـ/1903م ، وفي السنة التي تليها أيضًا.
- إنشاء مجلته (السعادة العظمى)في شهر محرم سنة 1322هـ/ أبريل 1904 وهي« أول مجلة عربية ظهرت في تونس، وكانت تصدر كل نصف شهر،ولم يصدر منها سوى21عدداً ثم انقطعت » [4]، نظرا لتأييدها فتح باب الاجتهاد،ومحاربة المستعمر الذي قام بإغلاقها بعد سنة واحدة من صدورها.
- «توليه منصب القضاء في بلدة (بنزرت)1323هـ/1906م،الذي استقال منه بعد أشهرً قليلة فقط » [5]، [5]، وقد شهدت هذه الفترة اضطرابات سياسية حادة بين المواطنين، والمستعمر ما جعله يعود إلى تونس.
- «عضويته في الجمعية الزيتونية سنة1325هـ، و التي ترأسها الإمام العلامة "محمد الطاهر بن عاشور".
- تدريسه في جامع الزيتونة، والقيام على خزانة كتبه.
- تدريسه بمدرسة الصادقية1326هـ، وكانت الثانوية الوحيدة في تونس.
- تكليفه بالخطابة في مواضيع إنشائية بالخلدونية»[6]،وبذلك جمع بين عدّة صفات فكان مدرسا،وقاضيا وخطيبا ،وإماما مصلحا ، وعضوا فعالا في النشاطات العلمية و الثقافية.

---

[1] --أحمد تيمور باشا،أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث،دار الأفاق العربية، القاهرة، سنة1423هـ/2003م، ص378.

[2] -يُنظر أحمد عبد العزيز أبو عامر: مجلة البيان،ص 73.

[3] - محمد عبد المنعم خفاجي: الأزهر خلال ألف عام، ج1،ط2،عالم الكتب،بيروت،سنة1408هـ/1988م ص 328.

[4] -أبو رامة aburama،أعلام الدعاة "محمد الخضر حسين"،مركز المعلومات بالإذاعة السودانية، يوم2013/02/28م، الساعة18:35،ص1

[5] - أبو رامة aburama،ص 1.

[6] - يُنظر محمد عبد المنعم خفاجي: الأزهر خلال ألف عام،ص329.

- ليعود إلى الجزائرسنة1327هـ في رحلته الثالثة لها، لإلقاء المحاضرات و الدروس وبث أفكاره الإصلاحية[1]، للنهوض بالعلم ومحاربة المستعمر.

للشيخ عدة مواقف و آراء تخص علاقاته السياسية مع السلطات الاستعمارية، ومن قبيل هذه المواقف أنه « لما قامت الحرب الطرابلسية بين الدولة العثمانية وإيطاليا سنة1911م،وقف "الخَضِر حسين" قلمه ولسانه إلى جانب دولة الخلفاء(الخلافة العثمانية) ،ودعا الناس إلى عونها ومساندتها ، وحين حاولت الحكومة ضمّه إلى العمل في محكمة فرنسية رفض الاشتراك فيها»[2]،فوقف موقف العِداء الرّافض للظلم و الاستبداد، الذي تفنن فيه الاستدمار، من أجل طمس معالم الشخصية العربية الإسلامية.

فقام يدعوا إلى النهوض ،لإعادة مجد العرب الضائع،بشروق شمس السّلام و الحرية،«وعلى إثر ذلك وقع الصدام بينه وبين السلطات الفرنسية ،فوجهت إليه في سنة (1329هـ/ 1911م) «تهمة بث روح العداء للغرب وبخاصة لسلطة الحماية الفرنسية في تونس» فلما استشعر الخطر على حياته غادر تونس إلى (الآستانة)* » [3].

وفي رحلته إليها سنة1330هـ، زار العديد من البلاد العربية و الإسلامية كمصر ،و دمشق، ليعود إلى بلده تونس بعد عام من رحيله عنها، فكانت رحلته هذه بمثابة رحلة استكشافية لهذه المناطق.

المرحلة الثانية :مرحلة عدم الاستقرار

ونظرا للظروف السياسية الصعبة التي عايشها الشيخ "محمد الخضر حسين" ،إزاء السلطة الاستعمارية،التي عملت جاهدة لكبت روح الجهاد والإصلاح فيه،قرّر شد الرحال ثانية،ومغادرة الديار التونسية ،بحثا عن جو أريح له ،يمكّنه من مزاولة نشاطاته التعليمية، والثقافية، والسياسية، وغيرها من الأهداف ،التي رغب الشيخ بتحقيقها.

فأثناء رحلتَيه إلى الشرق اتصل بالعديد من العلماء،وانتهز الفرصة للتدريس كلما سمحت له، ففي«(دمشق) اتصل بطبقاتها، وقرأ دروسا في (جامع بني أمية) فقدّره رجال العلم و المعرفة، وتوثقت عرا الصداقة بينه وبين عالمي الشام "الشيخ عبد الرزاق البيطار"، و"الشيخ جمال الدين القاسمي"، وبعد وفاة "القاسمي" ـرحمه الله ـ أحبّ طلابه أن يقرؤوا على الشيخ بعض أمّهات الكتب العربية، والدينية فرحّب بهم، وترك لهم الخِيار في ما

---

[1]- أحمد عبد العزيز أبو عامر: مجلة البيان،ص73.

[2]-محمود الشيخ،رجال الإصلاح،دط،دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع،عمان ،سنة2007م،ص113.

*- القسطنطنية قديما،إسلام بول و الآستانة بعد الفتح الإسلامي العثماني سنة1453م،اسطنبول بعدسنة1930.عن www.wikipedia.comيوم28.02.2013على18:30

[3]-صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث،ط1،مركز الحضارة العربية،القاهرة، سنة2001م، ص155.

يحبون أن يقرؤوه[1]» ،وهذا يدل على حِلمِه و وَرعه بطلّاب العلم، وترغيبهم فيه، و العمل على نشره والإفادة منه.

كانت القاهرة المحطّة الأولى من رحلته، فتعرّف فيها على كوكبة من العلماء الأعلام المناضلين في سبيل النهضة العربية والإحياء الإسلامي أمثال:« الشيخ الطاهر الجزائري (1852-1920)، والسيد محمد رشيد رضا (1865- 1935) ،ومحب الدين الخطيب(1986 -1969)،وأحمد تيمور باشا (1875-1930)»[2] .

ولاشكّ وأنّ لهؤلاء جميعا أهداف مشتركة ،تتقاطع في محور واحد، وهو النهوض بالفرد، والمجتمع الإسلامي بالحثّ على نشر العلم، ومحاربة الجهل،والتشبّث بالدّين الحنيف،عن طريق الاتحاد، والتعاون ،والتكامل لتحقيق الأهداف المتغيّاة،وتشكيل فريق واحد من أجل بلوغ هدف واحد.

وبعدها الوصول إلى (دمشق) التي استقر فيها،و شغل مناصب عديدة فيها:

- « مدرسا في المدرسة السلطانية سنة 1912م، قبل الحرب العامة الأولى.
- ممثّلا مُنتدبا للحكومة العثمانية في خلال تلك الحرب للسفر إلى (برلين) مع الشيخ "عبد العزيز جاويش" وآخرين، وقد نشر بعد عودته إلى (دمشق)سلسلة من أخبار رحلته في جريدة "المقتبس" الدّمشقية »[3] ،فهي رحلة سياسية كلّف فيها الشيخ بمهمة دبلوماسية إلى(ألمانيا)وسط ظروف عصيبة للدولة العثمانية التي قارب زوالها وقتئذ.

وخلال هذه الفترة سافر إلى القسطنطينية1330هـ، فدخلها يوم إعلان الحرب الروسية العثمانية (حرب البلقان)، حيث أخذ فكرة عن الحياة العامة فيها خلال الحرب العالمية الأولى، ثم عاد إلى(تونس) في ذي الحجة من هذه السنة، ، فجُعل عُضوا في اللّجنة التي ألّفتها حكومة تونس، للبحث عن حقائق في تاريخ (تونس)، ثم ترك ذلك لما رغب في الرحلة إلى الشرق من جديد،نحو دمشق[4]،التي طاب له العيش فيها.

غير أن ذلك لم يستمر وتمّ اعتقاله بها(1335هـ /1916 م) بسبب نشاطه في الدعوة الإسلامية، وربطِها بمقاومة الاستبداد، والدعوة إلى الحرية، فبادر "جمال باشا" السّفاح ،الحاكم العام في سوريا إلى اعتقاله لعدة أشهر، ولم يُنقِذه من المصير الذي كان سيؤول إليه، سوى صداقته لوزير الحربية "أنور باشا" الذي استفاد من خبراته خلال الحرب البلقانية(1912-1913) في حمل رسائل إلى العاصمة الألمانية[5] ، وكتب الشيخ عن حبسه و ذكر أنه قد عطّله عن التأليف و التدريس فقال:

---

[1]- مصطفى الشهابي، "وفاة الأستاذ الشيخ محمّد الخضر حسين"،مجلة المجمع العلمي العربي،ج2،مج33،مطبعة الترقي،دمشق، 1نيسان (ابريل)1958 م /11رمضان1377هـ،ص337.

[2]-ينظر صلاح زكي أحمد: أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ص156.

[3]- كامل سليمان الجبوري،معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة2002م،ج5،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1424 هـ / 2003م،،ص270.

[4]-ينظر محمد عبد المنعم خفاجي: الأزهر خلال ألف عام،ص329.

[5]- ينظر صلاح زكي أحمد: أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ص156.

« غلّ ذَا الحَبسِ يَديَّ عَن قَلمِي كَانَ لَا يَصحُو عَنِ الطَّرسِ فَنَامَا»[1]

وبعد الإفراج عنه سنة (1335 هـ / 1917م) استمر في التدريس بدمشق الى أن دعي إلى القسطنطنية سنة 1336 هـ ثمّ فارقها وعاد إلى (دمشق)،وبعدها عين سنة1919م، عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق مع "محمّد بن أبي شنب"،، و"بروكلمان" فحضَر جلسات لجانه[2]،وشارك بمقالات نشرها في مجلّة المجمع.

المرحلة الثالثة:في مصر

حيث تعد مرحلة الاستقرار التي انعكست إيجابا على الإنتاج العلمي المنظم، و النشاط الإصلاحي الدّائم، فبعد الاحتلال الفرنسي لسورية 24تموز (جويلية)1920م،انتقل الشيخ إلى القاهرة 1922م،واستقر فيها إلى أن وافاته المنية بها، بعدما اشتغل عدة مناصب ،وشارك في عدة جمعيات و مجلّات عديدة منها:

- « ألف جمعية الهداية الإسلامية ، وأنشأ لها مجلة سميت باسمها ، تولى إدارتها ورئاسة تحريرها.
- عُيّن مُصحّحا بالقسم الأدبي في دار الكتب المصرية لمدة خمس سنوات .
- نال الشهادة « العالمية »الأزهرية بعدما تقدم لامتحانها، وتحصل على استحسان لجنتها
- درّس بالأزهر، في كليتي الشريعة وأصول الدين» [3]،قدم فيها عدة محاضرات وتآليف نفيسة.
- انتُخب رئيسا لجبهة الدفاع عن شمال إفريقيا في مصر، فأسّس جمعية تعاون جاليات إفريقيا الشمالية سنة1924،[4]، التي كانت بمثابة همزة وصل بين المشرق والمغرب العربي.
- ردّ على كتابين صدرا في مصر لكاتبين شاعرين أحدثا دويا وقتها في الأوساط الفكرية سنة 1344 ، 1345هـ على التوالي :كتاب الإسلام وأصول الحكم للعالم الأزهري الشيخ "علي عبد الرزاق"، وكتاب في الشعر الجاهلي للدكتور "طه حسين"[5] ،و قد أفرد الشيخ "محمد الخضر حسين" لكل منهما كتابا مستقلا .
- عُين عضوا عاملا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عند إنشائه1932 ، وانتُخب عضوا مراسلا بالمجمع العلمي العربي بدمشق[6] .

---

[1]- مصطفى الشهابي:وفاة الأستاذ الشيخ محمّد الخضر حسين،ص338.

[2]-ينظر:الموسوعة العربية ،مج18،ط1،الجمهورية العربية السورية ،رئاسة الجمهورية،هيئة الموسوعة العربية،دمشق،سنة 2007م، ص81.

[3]- كامل سليمان الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة2002م،،ص270.

[4]- يُنظر خير الدين الزركلي: الأعلام،ص114.

[5]- للاستزادة ينظر:محمد الخضر حسين،نقض كتاب الإسلام و أصول الحكم،المطبعة السلفية ومكتبتها،القاهرة،سنة1344هـ. و محمد الخضر حسين،نقض كتاب في الشعر الجاهلي،المكتبة الأزهرية للتراث،القاهرة،دت.

[6]- أبو رامة aburama: أعلام الدعاة "محمد الخضر حسين"،،ص 2.

.

- ترأّس تحرير مجلة نور الإسلام الأزهرية،و مجلة لواء الإسلام سنة1947م[1] ،حيث اهتمّتا بأمور المسلمين وعبّرتا عن انشغالاتهم الدينية والدنيوية.
- ثم كان من هيأة كبار العلماء سنة1951م،بعدما تجنّس المصرية قبل عام من هذا التاريخ، وعُيّن شيخا للأزهر أواخر سنة 1371هـ ،واستقال منها 2جمادى الأولى سنة1373هـ/8يناير 1954م.

وعن أخلاقه قال عنه الشيخ "عبد الحليم محمود":

« مجاهد صادق الإيمان ،جاهد في صفوف الوطنيين ،كان عالما تفرغ للعلم ،لم يشغله عنه شاغل من شواغل الدنيا أو الجاه أو السلطان،كان على استعداد دائما لأن يعيش على كسرة من الخبز وكوب من اللبن،حين ولى مشيخة الأزهر لم يغير شيئا من عاداته»[2]،ذلك أن الشيخ واصل مسيرته في طلب العلم وتعليمه ،أينما ذهب ولم يقف بينه وبين ذلك سوى الموت.

فلبّى نداء ربّه عصر يوم الأحد في الثاني عشر من شهر رجب سنة1377هـ /ثاني يوم من شباط(فبراير) سنة1958م، ودفن بجوار صديقه " أحمد تيمور باشا "بوصية منه[3] .

تاركا وراءه العديد من المؤلفات في الفقه، الشريعة، التفسير، الأدب، الشعر، اللغة... الخ ومن أبرزها :

1. محمد رسول الله وخاتم النبيين وهي شذرات من السيرة النبوية[4].
2. دراسات في العربية وتاريخها[5].
3. الخيال في الشعر العربي.[6]
4. القياس في اللغة العربية وضم مقدمات في قفل اللغة العربية ومسايرتها للعلوم المدنية[7] .
5. مناهج الشرف . – وهو في الأخلاق – مط الترقي دمشق 1331[8].
6. الدعوة إلى الإصلاح [9].

---

[1]–للاستزادة ينظر:محمّد الخضر حسين،محمد بن عبد العزيز إدارة، مجلة نور الإسلام، المطبعة الحدثية،القاهرة،محرم 1349هـ. و محمّد الخضر حسين،مجلة لواء الإسلام، ع1القاهرة،،1رمضان1366هـ/19يوليو(جويلية)1947م.

[2]– الموسوعة العربية الميسرة،ج4،ط2،دار الجيل القاهرة سنة2001.ص2210.

[3]– أحمد عبد العزيز أبو عامر:مجلّة البيان،ص76.

[4]–محمّد بهجة البيطار،مصنفات الأستاذ السيد محمد الخضر حسين،مجلة المجمع العلمي العربي،مج18،مطبعة النشر،ص83,82.

[5]–ينظر محمد الخضر حسين،دراسات في العربية وتاريخها،ط2،المكتب الإسلامي للطباعة و النشر،دمشق،سنة 1380هـ /1960م، ص278-280.

[6]– محمد الخضر حسين،الخيال في الشعر العربي،دط،المطبعة الرحمانية،دمشق،شعبان1340هـ/ابريل1922م،ص69.

[7]– محمد الخضر حسين، القياس في اللغة العربية،المطبعة السلفية ومكتبتها،القاهرة،12جمادى الأولى1398هـ،ص116.

[8]– إلياس سركيس،معجم المطبوعات العربية و المعربة،ج2،منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي،القاهرة، سنة 1928 م، ص226.

[9]– محمّد الخضر حسين، تحقيق :علي حسن علي،الدعوة إلى الإصلاح،ط1،دار الراية للنشر و التوزيع،الرياض، سنة1417هـ.

7.الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان،والذي تحدث فيه عن الاجتهاد في أحكام الشريعة[1].

8.الحرية في الإسلام محاضرة ألقاها، بنادي جمعية قدماء تلامذة الصّادقية[2]

9.«خواطر الحياة وهو ديوان شعره.[3]

10. الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده أسباب ظهوره علاجه[4]..

كما كان الشيخ عضوا نشيطا في مجمع اللغة العربية ،و نذكر من بين أعماله المجمعية الآتي :

أ) اللجان التي اشترك فيها : «لجنة اللهجات . لجنة الآداب والفنون الجميلة، لجنة الأعلام الجغرافية ...»[5]

ب)المقالات والبحوث :نشرها بالمجلة وهي كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1/«اسم المصدر في المعاجم ص147.ج8 195. ، الشعر البديع في نظر الأدباء ج11 ص35».[6]

أما بخصوص المحاضرات فنورد أشهرها، وهي التي ألقاها في الأزهر الشريف والموسومة تحت عنوان:العلماء والإصلاح،أصول سعادة الأمة،كبر الهمة في العلم،الانحراف عن الدين،سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، التعاون في الإسلام،النبوغ في العلوم والفنون...[7]،وغيرها من المحاضرات .

ومن هنا برزت شخصية "الشيخ محمّد الخضر حسين"الموسوعية،من خلال مؤلفاته الأدبية المتنوعة و المتشبّعة بالثقافة الإسلامية.

---

[1]– محمد الخضر حسين ، تقديم وتعليق: محمد عمارة، « الشريعة الإسلامية»،نهضة مصر للطباعة سنة1999،ص98.

[2]– محمد الخضر حسين ، الحرية في الإسلام ،دار الاعتصام،دت،ص4.

[3]– كامل سليمان الجبوري: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة2002م،ص270.

[4]–محمد الخضر حسين، الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده أسباب ظهوره علاجه، تقديم وتعليق: محمد إبراهيم الشيباني، ط1،مكتبة ابن تيمية ،الكويت،سنة 1406هـ/1986م.

[5]–المجمعيون،مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما،ج2،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،سنة1368هـ/1966م،ص159.

[6]–محمد الخضر حسين،مجلة مجمع اللغة العربية،المطبعة الأميرية،بولاق القاهرة،سنة1935م. وللتوسع أكثر ينظر محب الدين الخطيب،مجلة الزهراء،سنة 1343-1347هـ/ 1924-1930م ،ومحمد بن إبراهيم الحمد،مقالات لكبار كتاب العربية في العصر الحديث،مج1،سنة1425هـ،www.toislam.net .

[7]– محمد الخضر حسين،مختارات من تراث شيخ الأزهر الأسبق محمد الخضر حسين،ج2،هدية مجلة الأزهر المجانية لعدد ربيع الأول 1422هـ،ص80.

.

الفصل الأول:عن الرحلة والرحالة.

المبحث الأول :دواعي الرحلة و أنواعها و أهميتها.

أولا: دواعي الرحلة ،وأقسامها.

ثانيا: أنواع الرحلات.

ثالثا:أهمية الرحلات.

المبحث الثاني: نشأة الرحلة وتطورها

أولا:أدب الرحلة في العالم

ثانيا: أدب الرحلة عند العرب.

ثالثا: أدب الرحلة عند الجزائريين

.

حري بنا قبل الولوج في موضوع أدب الرحلة عند" الشيخ محمّد الخضر حسين"، النظر في أسباب الرحلة لتكوين نظرة عن دواعيها الجوهرية، وأنواعها الأساسية ،ثم أهميتها العلمية والأدبية،ولا يفوتنا هنا التطرق إلى نشأتها و تطورها عبر العالم بشكل عام ثم الجزائريين بشكل خاص، مما حتّم علينا العودة إلى صفحات التاريخ الأدبي لفن الرحلة، وذلك لتحديد مسارها و بداياتها،ومراحل تطورها المتباينة.

المبحث الأول:دواعي الرحلة و أنواعها وأهميتها

لاشك أنّ هناك عدّة عوامل و أسباب ،قد أسهمت في هجرة الإنسان،من موطن نشأته إلى موطن آخر،ومن مكان إلى مكان آخر،فلم تكن هذه الأسفار و التنقلات جميعها لتمرّ أمام أعين الكاتب الرّحالة،دون أن تتحرّك لها مشاعره وتتدفّق أحاسيسه،فيترك العنان لقلمه حتى يصف لنا ما لا حظه ،أو ماتخيّله في رحلاته ومواكبه المختلفة،فتنوّعت أساليب تعبيره بين الشعري و النثري ،و الواقعي و الأسطوري،ومن هنا كانت أهمية النص الرّحلي على اختلاف ضروبه،و توسع مشاربه،في تحويل فعل الرحلة إلى خطاب كتابي هادف يصوّر ذلك الفعل.

أولا:دواعي الرحلة وأقسامها

حب السفر، والشغف بمعرفة العالم وما فيه من عجائب الموجودات وغرائب الكائنات ، هواية استهوت عددا من العلماء والمغامرين من مختلف الأجناس والبلدان ، ودفعتهم إلى تجشُّم المشاق وترك الأهل والخِلّان ، تحت وطأة أسباب متعددة تختلف من شخص إلى آخر ،ومن مجتمع لمجتمع، ومن زمن لزمن ،« فالحج إلى الأراضي المقدّسة، و طلب العلم كانا السّبب في حبّ الارتحال على بُعد الشُقة وعِظم المشقّة،كما كان حب الانتجاع و الرعي؛ السبب في التنقل و الارتحال للعرب، و البربر على السواء قديما وحديث» [1] ، وهلمّ جرا ، وفي المطالب التالية ، سنحاول حصر أهم هذه الدوافع والأسباب :

1-الدوافع الدينية:

وكما هو ظاهر من اسمها فإنّ السبب فيها هو ديني خالص، منها الرّحلة للحج ،وقصد البقاع المقدّسة، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلّم، ،ومن قبيل ذلك أيضاً رحلات الرُّسل لتبليغ الدّعوة الإسلامية، ورحلة الإسراء و المعراج التي قام بها الرسول الكريم ، ورحلات الوفود لاعتناق الإسلام ،ورحالات الصحابة لتعليم قواعد الإسلام... [2]وغيرها من الرحلات التي كان الهدف الأساسي منها مرتبط بالعقيدة والدين ،كرحلة الحجاز لإبراهيم عبد القادر المازني.

2- الدوافع العلمية أو التعليمية:

[1]-محمّد الصالح،من وحي الرحلة،دط،دار الحضارة للطباعة والنشر و التوزيع،سنة2007م،ص17.

[2]-ينظر عواطف محمد يوسف نواب،الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع و الثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،سنة1417هـ-1996م ص42-44.

.

تعدّ الرحلة العلمية من أهم الرحلات وأقدمها« وذلك يستلزم معرفة الأماكن والمناطق، وإلى ذلك التفت العرب في تآليفهم الأولى في الجغرافية »[1] فكان طلب العلم من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للقيام بالرّحلات،«كما فعل" الحارث بن كلدة" الطبيب في الجاهلية،ثمّ اللغويون ،والنحويون، وروّاة الشعر فيما بعد للأخذ عن القبائل الخالصة» [2]، للبحث عنه في مظانه الشهيرة والاستزادة من الفروع العلمية، ولقاء الشيوخ والأخذ عنهم مباشرة،كما جاء في رحلة "موسى عليه السلام"،للبحث عن "الخِضر عليه السلاّم"، والأخذ من علومه اللاّدُنية*.

لا سيّما أن الإسلام قد أولى أهمية بالغة للعلم،فكانت أول آية نزلت من القرآن ﴿اَقرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذِّي خَلقَ﴾[3] ،ولم تقتصر الرحلة هنا على بلد معين ، بل شملت جميع أقطار العالم كما جاء في بعض الأخبار:« أُطْلُبُوا العِلمَ وَلَوْ فِي الصِّينِ » .

3- الدوافع السياسية:

وبجانب الرحلة في طلب العلم كانت هناك أهداف أخرى لغرض التعرّف على أحوال البلاد السياسية ومراكز الحياة العلمية،ومشاهدة الطرق والمسالك،وحياة الناس من عادات وتقاليد، على غرار رحلات الوفود والسفارات، التي يرسل بها الملوك والحكام، إلى ملوك وحكام الدول الأخرى،لتبادل الرأي، وتوطيد العلاقات، أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام، أو تمهيدا لفتح أو غزو[4]،ومن قبيل ذلك :البعثات الدبلوماسية ،و الهجمات الاستعمارية.

ومنها أيضا الرّحلات التمويهية التي تتستر ورائها أسباب أخرى غير التي يعلنها الرحالة ،كما هو الحال بالنسبة لرحلة "التّجاني "،التي أعلن الأمير فيها أنه يريد تفقد أحوال الدولة،وأسرّ إلى من يثق بهم أنه يريد الحج،بينما كان –فيما يبدو–يريد التجسس على أعدائه في (جربة)[5]،للاستعداد لكل طارئ.

4- الدوافع السياحية :

للتّرويح عن النفس، وطلب الاستجمام، وتغيير الأجواء،كما قد تكون لمعرفة المعالم الشهيرة كالآثار، والأبراج و نحوها و«تعد رحلات السياح الأجانب إلى بلادنا مصدرا هاما لدراسة تاريخ مدنها، وآثارها، وأحوالها الاجتماعية، والعمرانية، وهي تتميّز عن مصادرنا التاريخية الأصلية، بتدوينها لبعض النّواحي التي أغفلها مؤرِخونا،

---

[1]–جورج غريب،أدب الرحلة وتاريخه وأعلامه،ط3،دار الثقافة،بيروت،سنة1979م،ص27.

[2]– حسين نصار:أدب الرحلة، إشراف: محمود علي مكي، ،ط1،دار نوبار للطباعة،القاهرة،سنة1991م ص34-32.

*–للاستزادة فالقصة مبسوطة في سورة الكهف.

[3]–العلق :1.

[4]– يُنظر فؤاد قنديل :أدب الرحلة في التراث العربي، ،ط2،مكتبة الدار العربية للكتاب،القاهرة،سنة1423هـ-جويلية2002م،ص20.

[5]– ينظر حسين نصار، :أدب الرحلة ،ص47.

.

وبخاصة ما يتعلّق بالحياة الاجتماعية لعامّة الناس؛ففيها شرح لعادات ،وأزياء حياة أهلها ،وملامح من عيشهم بأعين مختلفة وبتقويم مغاير»[1]، ومنها أيضا الرّحلات الشخصية.

5- الدوافع الاقتصادية:

وتكون بغرض التجارة، و تبادل السلع، أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية،أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى، وتندر في بلد المسافر، وقد تكون هربا من الغلاء، وسعيا وراء الرخص، واليسر، والوفرة، أو للعمل[2]،أو لجمع التبرعات والمعونات كرحلات الجمعيات الخيرية.

6- الدوافع الخيالية(fantastic foyage):

وعادة ما تكون على لسان رحّالة وهمي، وبالتالي هي«نوع من القصص الخرافي و الأسطوري كتبه الأدباء معتمدين على خيالات مجنّحة، وأساليب مشوقة قصدوا من ذلك التسلية،وخلق أجواء هي من بنات خيالهم لإثارة المغامرة، و توسيع الخيال مثل قصص "جوناثان سويفت" الخيالية»[3]، و رحلات السندباد البحري.

ومما سبق بيانه وتفصيله نجد أن الدوافع متعددة لممارسة فن الرحلة ، وقد لا نعدم أن نجد أسبابا أخرى للارتحال كالسخط على الأحوال وضيق العيش أو الهروب من عقوبة. و يمكن القول أنّه مهما كانت الأسباب، فإنّ السفر جامعة، تحفل بالدروس والعبر ،وتشحذ بالعلم والمعرفة، كما أنّها سبيل للتعارف والتلاقي، مصداقا لقوله تعالى﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُم شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾[4].

ثانيا:أنواع الرحلات

ليس من المبالغة في شيء، إذا قلنا أنّ معظم الرّحلات على تنوع أصنافها هي رحلات نثرية،إلاّ إذا استثنينا منها العدد القليل، الذي يندرج تحت الرّحلات الشعرية،ولعلّ السبب واضح مفاده؛ أنّ الرّحالة على تشعب حقولهم العلمية،لم يهتّموا بالشعر،قدر اعتنائهم بالجانب الوصفي ،و المادة العلمية التي تحتويها هذه الرحلات.

---

[1]-كارين صادر،دمشق في عيون الرحالة الفرنسيين،مجلة التراث العربي،ع11، إتحاد الكتاب العرب بدمشق،دمشق،جمادى الثانية1430هـ/حزيران(جوان)2009،ص269,268.

[2]- ينظر فؤاد قنديل :أدب الرحلة في التراث العربي،ص20.

[3]- محمّد التونجي،المعجم المفصّل في الأدب،ج2،دار الكتب العلمية،بيروت،سنة1419هـ/1999م،ص476.

[4]- الحجرات :13.

.

أ-الرحلة الشعرية:

لقد كان البحث عن الماء والكلأ الشغل الشّاغل للإنسان العربي البدوي،وتتبع مساقط الغيث من مكان لآخر،وممّا لاشكّ فيه أن هذه التنقلات قد أحدثت أثرا كبيرا في كتابات الرّحالة العرب، فجاءت الرّحلة مصوّرة بكامل تفاصيلها،بما أحدثته من تغيُر في الحياة الاجتماعية، و الفردية، و السياسية .

فاحتلّ حديث الطّلل و النسيب، والغزل والظعن، و الطّيف والشكوى، المقدّمة في الشعر، ومنه نجد معلّقة امرئ القيس: قِفَا نَبكِ مِنْ ذِكرَى حَبِيبٍ، وَمَنزِلِ بِسَقطِ اللِّوَى بَينَ الدّخُولِ فَحَومَلِ[1]

فكان امرئ القيس بهذا قد صنع« أفضل ابتداء صنعه شاعر؛ لأنّه وقف واستوقف،وبكى واستبكى،وذكر الحبيب و المنزل في مصراع واحد»[2]، وفي القصيدة الطّلَليّة يلتقي الشعراء في خمسة مواقف أو يكادون :

1)«إعلان خبر الرّحيل.

2)مماشاة الرّكب، و الوقوف عند معالم الطّريق.

3)وصف الظعائن (النساء المسافرات)،و الهوادج.

4)ذكر النساء و التحدّث إليهنّ.

5)موقف الشاعر من الظعائن المتحملة.»[3]

ومن هنا كانت الرحلة الشعرية التي لا تخرج عن هذا النمط، الذي تطور بمرور الزّمن، وأصبح وصفا للرّحلة في حد ذاتها من نقطة بدايتها إلى نهايتها.

ب-الرحلة النثرية:

نلفت النظر هنا أن أصل أدب الرحلة هو عالم النثر لا عالم الشعر، ،«فإذا تركنا الشّعر إلى النّثر،أحسسنا أنّنا انتقلنا إلى مجال فسيح لا حدود له،لأن النثر هو الموطن الطبيعي للرّحلة [4]» ، فكما هو معروف أن معظم الرحلات هي رحلات نثرية لا شعرية.

ومنها التقارير الرّسمية كرحلة" ابن فضلان"*مثلا،والرّسائل أيضا كرحلة "المختار بن المحسن".

---

[1]-امرئ القيس،ديوان امرئ القيس، شرح عبد الرحمان المصطاوي ط2،،دار المعرفة،بيروت، سنة2004/1425م،ص21.

[2]-أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق :محمّد محيي الدين عبد الحميد، ،ج1،ط5،دار الجيل، سنة1401هـ/1981م،ص218.

[3]- حسين نصّار: أدب الرحلة،ص100.

[4]- حسين نصّار: أدب الرحلة ،ص103.

*-للتوسّع أكثر ينظر ابن فضلان،رسالة ابن فضلان، تحقيق: سامي الدّهان،دط،مطبوعات المجمّع العلمي العربي،دمشق،دت.

.

ثالثا:أهمية الرحلات .

يشكل أدب الرحلة أحد المصادر المساعدة للتاريخ، بل يعتبر حلقة من حلقاته الأساسية المكونة له، و على غرار ذلك تكتسي الرحلات أهمية بالغة، في حياة الإنسان والحيوان على حد سواء ،كما ترتبط هذه الرحلات بعدّة علوم و معارف ؛كالتاريخ، والجغرافية، والثقافة، والاجتماع،والدين ...ونحو ذلك.

ويمكن أن نجمل أهمية الرحلات فيما يلي:

1.« ترسيخ مجموعة من الانطباعات العامة، والتصورات عن الشعوب الأخرى ,سواء كانت صادقة أم خاطئة [1]»،ذلك لأن الرّحالة يمثّل نفسه ،و يعبّر عن رأيه الشخصي الخاص به.

2.«الكشف عن نصوص مجهولة لكتّاب ورحّالة عرب ومسلمين، جابوا العالم ودوّنوا يومياتهم وانطباعاتهم، ونقلوا صورا لما شاهدوه وخَبرُوهُ في أقاليمه القريبة والبعيدة،لاسيّما في القرنين الماضيين اللّذين شهدا ولادة الاهتمام بالتجربة الغربية لدى النخب العربية المثقّفة»[2] ،كما هو الحال عند "فارس الشّدياق".

3.«الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر، الذي تشكّل عن طريق الرحلة، والأفكار التي تسرّبت عبر سطور الرحّالة،و الانتباهات التي ميّزت نظرتهم إلى الدول والنّاس والأفكار[3] » ،إذ نجد الاهتمام الغربي بالآخر العربي، الذي نتجت عنه ظاهرة الإستشراق،وبالمقابل الاهتمام العربي بالآخر الغربي وما نتج عنه من ترجمة ونقل للعلوم.

4. للرحلات قيمة علمية تكمن في :«تضمينها الكثير من المدونات والمعارف التاريخية والجغرافية،وما تحتويه من تصوير للحياة الاجتماعية، والسياسية ،والعمرانية، والاقتصادية... » [4]،ماثلة أمامنا وكأننا نراها بأعيننا المجرّدة.

5.كما تبرز قيمتها الأدبية في أنّ ما كتبه الرحالة يأخذ طريقه إلى عالم الأدب بما فيه من صدق للتجربة، واللّهجة الشخصية،والتصوير الفني الحي،مما يجعله قريبا من عالم القصة[5]،وتحويل التجربة الإنسانية إلى تجربة محايدة.

6.أفاد أدب الرحلة بغنى موضوعاته في صرف أصحابه في غالب الأحيان عن اللهو، والعبث اللفظي، والتكلف في تزويق العبارة،إيثاراً للتعبير السهل المؤدي للغرض مما يفتقده كثير من الأدباء[6] ،فالعبرة بالكيف لا بالكم.

وبالتالي يمكن القول أنّ الرحلة وثيقة تاريخية صالحة لكل زمان ومكان، باعتبارها مصدر من مصادر المادة العلمية و الأدبية، التي تفيد الباحثين على اختلاف اختصاصاتهم.

---

[1]- حسين نصّار: أدب الرحلة،ص8.

[2]-عبد الله بن محمد العياشي ، الرحلة العياشية ،تحقيق : سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ،مج1،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع،أبو ظبي،سنة2006م،ص7.

[3] -محمّد علي باشا، الرحلة الشامية، تحرير:علي أحمد كنعان، سيكو للطباعة والنشر،ط1،بيروت،سنة2002م،ص9.

[4]- فواز الشعار :الموسوعة الثقافية العامة ، ص197.

[5]- ينظر: نفسه،ص 197.

[6]-فؤاد قنديل :أدب الرحلة في التراث العربي،ص26.

.

المبحث الثاني:نشأة الرحلة وتطورها

شهدت الرحلات عبر تاريخها الطويل عدة تطورات وتغيرات على مستوى بنيتها الشكلية والبنيوية ،بدءً بالعصور البائدة وصولا إلى العصور الوسطى فالعصور الحديثة والمعاصرة، فيحفل تاريخنا الإسلامي في القديم والحديث بنماذج مشرفة للعلماء الذين ضربوا المثل الأعلى في الفضل و العلم والجهاد وكثير من هؤلاء مغمورين وقليل من الناس من يعرفهم وسنحاول في هذا المبحث عرض أبرز هؤلاء الأعلام،على الصعيد العربي والجزائري .

أولا: أدب الرحلة في العالم.

غني عن البيان و التذكير بأن فن الرحلة كباقي الفنون الأدبية، بدأ بداية موسوعية مرتبطا بالجغرافيا والتاريخ، ثم صار أدبا قائما بذاته كما هو عليه الآن ،فأدب الرحلة موغل في القدم عرفته أمم شتى ، مثل الفراعنة والفينيقيين والإغريق والرومان.

فالتاريخ يحدثنا «أن المصريين كانت لهم منذ حوالي **منتصف الألف الثالث قبل الميلاد** رحلات متعددة بالبر والبحر إلى بلاد بُنتْ (ساحل الصومال)، وأن الملكة "حتشبسوت" جهّزت حملة إلى هذه البلاد عام 1495ق.م، سيّرت فيها خمس سفن كبيرة في البحر الأحمر ،وأن النقوش البارزة في (الدير البحري) بمصر تخبرنا كيف سيّرت هذه السفن ، وكيف استقبلت (بُنتْ) المصريين وكيف عادوا» [1]،فبقيت هذه الرسوم، والنقوش شاهدة على تلك السفرات والمغامرات التي شهدتها تلك الفترة الزمنية .

كما كان الشعب الفينيقي« قائما على أمر الملاحة في البحار، فقام هذا الشعب برحلاته البحرية الخارقة التي استحوذ فيها على مرافئ بحر الرُّوم، وشواطئ أوروبة الغربية، وخاض عباب المحيط الأطلسي، واكتشف بعض سواحل إفريقية الغربية، و وصل إلى أمريكة...،وقد سجلت رحلاته هذه في مصنّفين اثنين هما :رحلة جنون "القرطاجي" حول القارة الإفريقية ،و رحلة "عملقون" إلى سواحل أوروبة الغربية»[2]، غير أن المصنّفان لم يصلانا كاملين، بل نتفا منهما فقط،لينتقل أدب الرحلات من كونه وعاءً لملأ المعلومات المتناثرة إلى معرفة منظّمة .

و من بعد الفينيقيين جاء الإغريق، أين نجد «"هيرودوت" الذي استقى من رِحْلاته الطويلة العريضة في بلاد الإغريق مسحاً وصفيا شاملا لها، ومن ثمَّ استطاع تقديم عرضه العظيم للتاريخ في عام 425 ق.م ، ولم يسع إلى الوصف التفصيلي لرحلاته ، بل اكتفى بالتركيز على النتائج التي أنشأت علم الجغرافيا» [3] ،وبعمله هذا أصبح أباً للتاريخ وأدب الرّحلات أيضاً.

---

[1]-،أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي،ط1، منشورات دار الشرق الجديد ،بيروت،ديسمبر1961،ص 07.

[2]-نفسه: أحمد أبو سعد،ص08.

[3]-نبيل راغب: فنون الأدب العالمي ،ص24

.

ثم خلف اليونان الرومان ..فغذّوا السير في الآفاق يضربون في أرجاء الإمبراطورية الواسعة حتى وصلوا الى جزائر كناري ، وطافوا بدولتهم في أفريقية وفي آسية ، وبلغوا الهند والشرق الأقصى...،ومن أشهر مؤلفاتهم "التعليقات" ليوليوس قيصر ،و"جرمانية" لتاسيت ،و"العشريات" لطيطش ليوش .[2] وكلها كتب جمعت فحواها بين القيمة الجغرافية والتاريخية معا،وكذا الأمانة في الوصف ، والتفنن في السرد.

ليأتي فيما بعد ذلك العصر الوسيط أين اشتهر "ماركو بولو" (1254-1324)، برحلاته صوب الشّرق حتى بلاد الصين،ولما عاد كان في جعبته الكثير من الروايات والأحداث، عن عالم جديد يختلف تمام الاختلاف عن العالم الذي عاش فيه في أوروبا، كصحراء جوبي، صنّفها في كتابه المليون الذي ألّفه سنة 1299[1]، الأمر الذي قلّص الهوّة بين الغرب والشرق، خصوصا أن الطريق أصبح معروفا براً أم بحراً.

أما القرن الخامس عشر الميلادي« اكتشف "هنري" المعروف بالملاّح أقساماً مجهولة من الشاطئ الإفريقي سنة 1441 م ، و وصل "بارتولو ميودياز" سنة 1486 م إلى (رأس الأعاصير) في الطرف الجنوبي من القارة الإفريقية »[2]، فكانت الرحلات الاستكشافية نحو الجنوب ، التي أثمرت بالتعرف على القطب الجنوبي .

و بعده« "فاسكو دا جاما" (1460 - 1524) م، و "كريستوف كولومبوس" سنة (1441-1506) ، و "فرديناند ماجلان" (1480-1521) الذين اشتهروا كرواد لرحلات بحرية،حيث اتجه فيها "داجاما" سنة 1497 م من الشمال الى الجنوب، بينما قصد "كولومبوس" 1492، و"ماجلان" سنة 1519صوب الغرب البعيد، و عبر المحيط الأطلسي مجهول السعة و الأبعاد حينذاك»[3] ،فانفتح العالم باكتشاف أمريكا ، كما عُرفت جزرا كانت مجهولة من قبل، و أجناس بشرية متنوعة .

فاتسع مجال أدب الرحلات ، وتعددت أعمال الرّحالة ،« مرورا بالسجلات الكشفية التي قام بها" آنسون وكوك" في القرن الثامن عشر، ووصولا الى الأعمال الموسوعية التي قام بها شركاء كثيرون في البعثات العلمية الشهيرة منذ أيام "هامبولت"»[4] ، التي برزت تحت تأثير العاطفة والانطباعات الشخصية .

وفي هذه الأثناء ظهرت الرحلة الشاعرية ، ، وهو ما نلحظه عند« "غيته" في رحلته الايطالية عام1788م ،وعند كتابات شاتوبريانو جورج بورو ، وهانريخ بارث ،سير ريتشارد بيرتون،وَ،فريتوف نانسين، وسفن هيدين»[5] وغيرهم كثير من الذين وظّفوا خصائص الأدب الرومانسي بتوظيفهم للطبيعة ،واستعمال الخيال أحيانا،مما دعا إلى بروز صنف آخر للرحلة يتمثل في الرحلة الخيالية كأعمال رابليه مثلا.

---

[1]-يُنظر محمّد حسين فهيم،"الرّحلات اكتشاف للعالم والإنسان"،عالم المعرفة"أدب الرّحلات"، ع138،المجاس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب،الكويت،يونيو1989م،ص21.

[2]- أحمد أبو سعد: أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي،ص10.

[3]- محمّد حسين فهيم: عالم المعرفة،ص26.

[4]-نبيل راغب:فنون الأدب العالمي،ص26.

[5]-نفسه: نبيل راغب،ص29.

.

و هكذا نلاحظ انحناء كفة الميزان نحو الغرب ، الذين اندفعوا يسيرون في أرض الله تعالى، داخلها و خارجها فكانت الرحلة نحو القمر سنة 1969، و نحو الكواكب الشمسية لاكتشاف المجرة، وهو يعرف اليوم بالرحلات الفضائية.

ثانيا: أدب الرحلات عند العرب

جلي بالذكر أن العرب، قد أسهموا إسهاما كبيرا، في تطور أدب الرحلات، فأبدعوا فيه حتى فاقوا أقرانهم في السبق إلى التّفنن فيه بأساليب الإبداع المختلفة ،مصورين بذلك حيواة، وأوضاعا عايشوها بأنفسهم طوال رحلاتهم،أو تصوّروها في خيالهم،فعبّروا عنها كما سمعوها، أو كما تمنّوا أن تكون في ذاكراتهم،في حين تتسم بعض الرحلات بالجمع بين الجانب الواقعي، والخيالي في آن واحد.

فقد عرف العرب الرحلة منذ **العصر الجاهلي**؛ فقاموا برِحلاتهم التجارية الى بلاد العراق، والشام ،واليمن... وغيرها من البلدان ،كما تبين لنا الآية الكريمة في قوله تعالى:﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾[1] ،فكانت إحدى الرحلتين:إلى اليمن في الشتاء؛،لأنها بلاد حارة، والرحلة الأخرى إلى الشام صيفا؛لأنها بلاد باردة.

وكان لنشر **الإسلام** الأثر الأكبر في انتشار الرحلات فقام المسلمون« بوصف البلاد التي فتحوها، كما دعاهم إلى ذلك الاستخبار عن الأمم السابقة،ونقل علومهم ومعارفهم إلى العربية»[2] وبذلك نجد الرحلات الدينية، و الرحلات التعليمية الإسلامية.

ولما بدأ **القرن الثالث للهجرة /التاسع للميلاد**،بدأت معه كذلك مرحلة تجمع فيها من أخبار الرحّالين، و حكاياتهم كثير، لعلّ من أقدمها تلك الأخبار التي رواها "ابن خُرْدَاذْبَة" عن "سلاّم الترجمان" ،في كتابه المسالك والممالك .[3] الذي شكّل تقريراً عن الدولة العبّاسية.

كما برز كتابان شهيران:« كتاب البلدان» و« فتوح البلدان» ،لصاحبيهما اليعقوبي (ت284هـ أو292هـ)، والبلاذري(ت279هـ،892م) [4] ،اللّذان كان لهما الأثر الكبير في الكتابات التي أتت من بعديهما في **القرن الرابع الهجري/العاشر للميلاد**.

إذ يمثل هذا القرن قمة النضج الفني لأدب الرحلات ،بظهور عدد كبير من الرّحالة،من أشهرهم:

---

[1]-قريش :1,2.

[2]-محمّد أمين فرشوخ،موسوعة عباقرة الإسلام،ج1،دار الفكر العربي،بيروت ،سنة1996،ص140.

[3]-يُنظر أحمد أبوسعد،أدب الرّحلات وتطوره في الأدب العربي، ص21.

للاستزادة ينظر: ابن خُرْداذْبَة،المسالك والممالك،دط،مطبعة بريل،ليْدن،سنة1889م.

[4]-يُنظر عمربن قينة،اتجاهات الرحّالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،سنة1995م،ص12.

.

"ابن فضلان"الذي «بعثه الخليفة المقتدر بالله في 11 من صفر سنة309هـ/21يونيه921م،في رحلة إلى بلاد الترك، و البلغار، و الخزر، و الروس، و الصقالبة»[1]،بغية تعليم الدين الحنيف ،ونشر العقيدة السّمحاء في هذه البلدان،وقد برع في وصفها وصفا يليق بأهميتها.

وفي **القرن الخامس للهجرة/الحادي عشر للميلاد** ، بزغ اسم «"أبي الرَّيحان محمّد البيروني"،الذي كان قد التحق بالسلطان "محمود الغزْنوي "في (غزنة) سنة1017م،حين قام بعدّة رحلات علمية في بلاد الهند التي قضى فيها نحو أربعين سنة،ووضع كتابه« تحقيق ما للهند من مقولة،مقبولة في العقل أو مرزولة ».[2] و اعتنى فيه بالجانب الفكري و الثقافي للهنود.

أما **القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي** ،فقد تميز بشهرة الرحالة المغاربة ،الذين جابوا أنحاء العالم شرقا وغربا،جنوبا وشمالا،فاكتسحت أعمالهم المكتبات الأوربية، ونافستها في جودتها، وصدق تجربتها من أمثال :

الأندلسي "أبا عبد الله محمّد بن محمّد الإدريسي" (1099-1153م)،صاحب كتاب« نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » ،بيّن فيه حسّه الجغرافي،بوصفه الجيد،ومهارته في صناعة و إعداد الخرائط...،الأمر الذي جعل البعض يخرون إلى "الإدريسي" أعظم جغرافي في العصور الوسطى على الإطلاق[3]، نظرا للدقة التي ترجع الى مشاهداته الشخصية، التي توحي بدرجة عالية من الثقة.

الوارجلاني(500-570هـ/ 1100-1170م)،حيث« تتفق معظم المصادر على أنّ للشيخ "أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم السّدراتي الوارجلاني"،ثلاث رحلات مهمّة وهي:رحلته إلى الأندلس طلباً للعلم ،وإلى السودان للتجارةو الاستكشاف،وللمشرق لحج بيت الله الحرام »[4] ،جامعا بذلك أنواعا ثلاثة من الرحلات: العلمية ،والتجارية، والحجازية.

أحمد ابن جُبير الكناني البلنسي(1144-1217م)،بيّن في رحلاته مع كل بلدة و كل مشهد: التاريخ باليوم والشهر ،ويبدوا أنه كتبها في أوراق منفصلة،وكأنّ الموت عاجله قبل أن يجمعها نهائيا،فجمعها بعض تلامذته ونشرها بعد وفاته باسم« تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار » ،وله رحلتان بعد هذه الرحلة حجّ في كل منهما،[5] وآثر من نشروها في العصر الحديث من المستشرقين، و العرب أن يطلقوا عليها اسم « رحلة ابن جُبير»

---

[1]- حسين نصّار: أدب الرحلة، ،ص25,24.

[2]-نبيل راغب :فنون الأدب العالمي ،ص33,32.

[3]-يُنظر حسين محمّد فهيم،« الرحلة في التراث العربي » ،عالم المعرفة"أدب الرحلات"،ع138،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،الكويت،يونيو1989م،ص85،عن صلاح الشامي،الإسلام و الفكر الجغرافي،ص125.

[4]- يحي بن بهون حاج أحمّد،من الرّحلات الحجازية لعلماء المغرب الإسلامي :رحلة الوارجلاني ،الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر، سنة2007م،24.

[5]-ينظرشوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي(8)"عصر الدول والإمارات الأندلس"،ط2،دار المعارف،القاهرة،دت،ص533,532.

.

وابتداء من **القرن السابع للهجرة/الثالث عشر الميلادي** بدأ الجانب العلمي يطغى على أدب الرحلات ، والذي برز من خلال كتابات الرحالة:

العبدري(ت بعد 740هـ،1289م)في" الرحلة المغربية" «والذي غادر الأهل والدّيار...خائضا غمار السفر ..وقبض على عصا التيار قاطعا المهامة والقفار غايته...زيارة البقاع المقدسة حيث يتجه المسلم خمس مرات...[1]» فالظاهر من اسمها أنّها مغربية الوجهة غير أنها في الواقع رحلة مشرقية حجازية.

القزويني (605-682/1208-1283م)،من آثاره مؤلفان من حجم واحد تقريباً: أحدهما عن (نظام الكون)، والكتاب الآخر عن (الجغرافيا). فكتاب القزويني الأول« عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » بقي معروفاً خلال القرون الطوال من العصور الوسطى وحتى العصور الحديثة... ،أما كتاب (الجغرافيا) فلدينا منه نسختان أصليتان بعنوانين مختلفين: أقدمهما باسم (عجائب البلدان)، وأحدث النسختين عنوانها« آثار البلاد وأخبار العباد » مما يدخل في باب الجغرافيا التاريخية، وقد كتب سنة 1250 م[2].

ياقوت الحموي(575-626هـ/1179-1229م)،الذي كان رحّالة وعالماً،جمع بين مع معارف كثيرة وأبحر في علوم عديدة منها: الجغرافيا، و الأدب، و علوم الشريعة، و اللغة العربية،صنّف كتبا عدة أهمها كتابان:« معجم الأدباء » ،« معجم البلدان » القاموس الجغرافي الأشهر.

أما القرن **الثامن للهجرة/الرابع عشر للميلاد**،فهو يمثل القرن الذي بلغت فيه رحلات العرب أقصى غاياتها،سواء من الناحية المعرفية،أو الناحية الجغرافية،أين برز الرحّالة المغربي المشهور "ابن بطوطة".

انساق بحبّه الأسفار و التجوال في بلدان العالم المعروف في أيّامه، ورحلاته ثلاث استغرقت كلّها زهاء تسع وعشرين سنة[3]،طوال هذه المدة مرّ بالعديد من البلدان الإسلامية فزار زواياها، ومدارسها القرآنية، واصفا بدقة متناهية التركيبة السكانية،والمنطقة الجغرافية،وماتتميز به من نباتات، وصناعات وحرف، بالإضافة إلى ما فيها من الغرائب والطرف.

لسان الدين بن الخطيب(713-776هـ/1313-1374م): حوت كتبه، و رسائله مشاهداته في أربع رحلات ؛الأولى: « خطرة الطّيف في رحلة الشتاء والصيف»،والثانية «مفاخرات(مالقة)و(سلا)»،والثالثة

---

[1]-مولاي بالحميسي،الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،دط،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، سنة1979م، ص12.

[2]-ينظر مازن عوض الوعر،« التفكير اللغوي عند الجغرافيين و الرحالة العرب فيضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة » مجلة التراث العربي،ط2،الدار العربية للكتاب،القاهرة،جمادى الأولى1423هـ-يوليو2002م،ص176,175.

[3]-يُنظر:رحلة ابن بطوطة،منتدى مكتبة الإسكندرية،دار صادر ،بيروت،سنة1412هـ-1999م،ص14,5.وللتوسع أكثر ينظر حسين مؤنس،ابن بطوطة ورحلاته،دط،دار المعارف،القاهرة،دت.

.

«معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار»،بالإضافة إلى رحلته التي دوّنها في كتابه «نفاضة الجراب في علالة الإغتراب »وقام بتحقيق هذه الرسائل ونشرها أحمد مختار العبادي سنة1958م.[1]

ثم **القرن التاسع للهجرة/الخامس عشر للميلاد**،الذي يعتبر خاتمة عصور الرحلات العربية في القرون المتوسطة، وقد اشتهر فيه الكثير من الرحالة أمثال :

الحسن الوزّان (888-957هـ/1483-1550م)المعروف في أوروبا باسم (ليون الإفريقي Lion Africains) زار شمال إفريقيا،وبدأ رحلة السودان الغربي (غرب إفريقيا) سنة1510 موفدا إلى دولة صنغى من حاكم فاس،وزار (تمبكتو) ووصفها وصفا دقيقا،وأبحر في نهر (النيجر) وزار (مالي) وبلاد الحوصة (الهوسا) و (بورنو)...،وقد نشر رحلاته الإفريقية بالإيطالية سنة1550،ثم ترجمت إلى الإنجليزية سنة1600،تحت عنوان تاريخ إفريقيا ووصفه the Description of Africain History ،ونشرت جامعة الغمام محمّد بن سعود بالسعودية هذه الرحلة كاملة في طبعة محقّقة[2].

الرحلات بعد القرن الخامس عشر للميلاد/التاسع للهجرة: حيث عرفت تقهقرا واضحا، دام حوالي ثلاثة قرون تقريبا(القرن السادس عشر،السابع عشر،الثامن عشر للميلاد/العاشر ،الحادي عشر،الثاني عشر للهجرة) ،لعدّة أسباب دينية و سياسية و ثقافية،واجتماعية، و اقتصادية،ظهرت خلالها رحلات قليلة نذكر من بينها:

الرحلة العياشية(1661-1662م)لأبي سالم العياشي المغربي،تتميز بالمسار الجغرافي الهام الذي مسحته، وقد انطلقت من (سجلماسة) بأرض المغرب لتصل إلى القاهرة ،مرورا بكل من الجزائر، وتونس، و طرابلس، قبل أن تأخذ وجهتها المحدّدة و هدفها المقدّس ،مكة المكرمة و المدينة المنورة ثم القدس الشريف.[3]

ثم تظهر رحلة محمّد المكي الدرعي الناصري (أواسط القران الثامن عشر) صاحب« الرحلة المراكشية » ،ورحلة الوزير "الزياني" سنة 1786م،حينما كلفه أحد السلاطين للقيام بمهمة في البلدان الأجنبية، أو الإسلامية ،وعند العودة يكتب السفير تقريرا مفصلا يذكر فيه كل ما رأى أو حدث له أو اطلع عليه».[4]حيث

---

[1]-ينظر محمّد محمود الخزعلي،« لسان الدين بن الخطيب وأدب الرحلة » ،مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج18، ع39،ذو الحجة 1427م،ص413,412.

[2]- ينظر س.هوارد ، أشهر الرحلات إلى غرب إفريقيا،ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ،ج1،الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة1996م،ص10.

[3]-ينظر عبد الله بن محمّد العياشي: الرحلة العياشية،ص12.

[4]- حسني محمود حسين،أدب الرحلة عند العرب،ط2،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،سنة1403هـ-1983م، ص69.للإستزادة ينظر: أحمد فارس الشدياق،الساق على الساق في ماهو الفارياق الشدياق،نسخةpdf: w.w.w.al-mostafa.com

.

عرّفنا هذا الأخير بالتل، ومدنه، وبمكانة تلمسان، والجزائر، و قسنطينة، وبمنزلة محمّد الكبير باي وهران، و الدّاي حسين ، وحسين باي قسنطينة، وبالحالة الاجتماعية لها.

الرحلات في عصر النهضة:

أما القرن التاسع عشر فقد شهد نقلة نوعية في أدب الرحلة ،بإعطائه مسحة أدبية خالصة ،بينما أصبحت الجغرافيا، و التاريخ في حدود الإحاطة السياسية ،و الاقتصادية، و الثقافية، والاجتماعية المتعلقة بجوانب الرحلة، بعدما شهدت هذه الفترة احتلالا أوروبيا غزى فيها العالم العربي ،ما دفع البعض للتطلع من جديد على أحواله المعيشية ،وكذا أوضاعه المختلفة،وكان في طليعة الرحالات نحو أوروبا:

أحمد فارس الشدياق:وقد سجّل رحلته إلى أوروبا في كتابه« كشف المخبأ عن أحوال أوروبا [1] »،فصّل فيه سياحته في بلاد الإنجليز وغيرهما من الأقطار الأوروبية،ووصف عادات الانجليز وآدابهم وأخلاقهم ،وتاريخ تمدينهم وسر تقدمهم بأسلوب شائق .

وكذلك «"سليمان البستاني"(1816-1883)،العالم الضليع، واللغوي المحقق،"بطرس بن بولس البستاني الماروني" الذي جمع رحلاته في مدونته دائرة المعارف»[2]،وهي موسوعة ضخمة اشتغل فيه أبناؤه بعد وفاته.

أما القرن العشرين فقد زاد الاتصال وتعّمقت آثاره،ونضجت العلوم والمعارف،وزاد الوعي واليقظة ،ومن الرحلات نحو أوروبا نجد رحلة محمّد لبيب البتنوني في «رحلة إلى الأندلس»،و"محمّد المويلحي"في ملحق كتابه« حديث عيسى بن هشام»،وزار أمريكا"محمود تيمور"ودوّن مشاهداته في كتابه« أبو الهول يطير».[3]

وهكذا برع العرب في الرّقي بهذا الأدب،من كونه مجرّد انطباعات وملاحظات سجّلها الرّحالة الأوائل في رحلاتهم ومغامراتهم المختلفة، إلى نوع من الأدب يحمل سماتاً مميزةً يُعرف بها بين جماهير القرّاء .

ثالثا: أدب الرحلات عند الجزائريين.

عرف الجزائريون عبر تاريخيهم الطويل-كغيرهم من أبناء يعرب-بكثرة تِرحالهم،وسفرهم في شتى أنحاء العالم،ولاسيّما خلال القرن الثاني عشر الهجري(12هـ)/القرن الثامن عشر الميلادي(18م)، الذي يعدّ العصر الذّهبي لتطوّر فن الرّحلة على الصعيد العربي،نظرا لكثرة التآليف فيه ،غير أنّ ما يمكن أن يقال عن رحلات الجزائريين؛ أنّهم كانوا قليلي الإنتاج بالمقارنة مع إخوانهم المغاربة الذين دوّنوا رحلاتهم،فكانت معروفة ومتداولة منذ قرون طويلة،بينما بقيت رحلات الجزائريين مسموعة، أو شفهية فقط،فلم يقوموا بتسجيلها لسبب أو لآخر.

يصنّف المهتمون بأدب الرّحلة الرّحلات إلى أنواع تختلف باختلاف مسبّبات هذه الأخيرة ،وعلى غرار هذا فقد تنبّه الأستاذ الدكتور "أبو القاسم سعد الله" إلى هذه المسألة في كتاباته المختلفة مبكرا، وهو ما نجده أثناء

---

[1]-عمر الدسوقي،في الأدب الحديث،ج1،ط8،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،دت،ص101.

[2]-أحمد حسن الزيات،تاريخ الأدب العربي،دار النهضة مصر للطباعة والنشر،القاهرة،دت،ص475,474.

[3]-ينظر شوقي ضيف:الرحلات ،ص69,68.

.

حديثه عن رحلات الجزائريين في قوله:« وكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج،وبذلك تكون "رحلات حجازية"،وبعضها لطلب العلم وبذلك تكون "رحلات علمية"»[1]، إذ يكون الضابط أو المعيار المستند في هذا التصنيف دواعي الرحلة في حد ذاتها، هذا إن كان معلنا ، ففي بعض الأحيان يكون السبب مخفيا وغير ظاهرا كأن يكون لغرض التّجسس، أو العمل لدى المخابرات الاستعمارية مثلا.

لكن السؤال المطروح هنا:-هل يقتصر أدب الرحلات عند الجزائريين على هذين الصنفين فحسب؟

أم أن هناك أصنافا أخرى للرحلات الجزائرية؟وإذا كان الحال كما نقول فما هي؟ ومن هم أصحابها؟

للإجابة عن هذه التساؤلات لابدّ من الحديث عن كل نوع من أنواع الرّحلات بالتفصيل.

ا-الرّحلات الحجازية:

فقد كانت الرّحلات إلى بلاد الحرمين الشريفين هي المقصد الأوّل للرّحالة الجزائريين،فقد أدرك هؤلاء قُدسية أرض الحجاز،وعلِموا خيرات التوجه إليها، ودوّنوا رحلاتهم شعرا ونثرا، نذكر منها **الحجازية الشعرية:**

كرحلة"عبد الرّحمان بن خروب المجّاجي(عاش خلال القرن11هـ)،والتي قام بها سنة 1063هـ، ويخبرنا فيها عن بلاد مصر التي أقام فيها بصحبة ركب الحجّاج أيّاما التقى خلالها بعلماء أجلّاء بقوله:

فَصَلّينَا فِيهِمْ وَالتَقينَا بِكُلِّ مَنْ لَهُ ... فِي طَرِيقِ العِلْمِ وَالخَيرِ شُهرَةً

كَمَثَلِ الأَجْهَرِي العَالِمُ الذِّي ... لهُ رُتبةٌ تَسمُو عَنْ كُلِّ رُتبةٍ[2]

ونذكر في هذا الصّدد قصيدة"محمّد مسايب التلمساني"خلال القرن الثاني عشر للهجرة(12هـ)،وتبدأ هكذا:

الحُرْمْ يَا رْسُولْ اللَّـــــــــه ... الحُرْمْ يَا رْسُولْ اللَّه

خِيْفَانْ جِيْتْ عِنْدَكْ قَاصَدْ ... الحُرْمْ يَا رْسُولْ اللَّه[3]

يصف فيها "ابن المسايب " أحاسيسه ومشاعره الفياضة ،لمواجهة معالم الحج وقصد بيت الله الحرام.

وقصيدة "الشريفة لآلة الزهراء" (1910-1980م)، حيث تذكر انطلاقتها من قصرها (أظوى) أمام بيت المسجد فتقول :

فَمْ الجَامَعْ تْلاَقِينَا وَ البُرْدَة بَاشْ لَبّينَا ... وَ الكَارْ صَدْ بِنَا وَالصَّلاَة عْلَى المْرسَلِ[4]

---

[1] -أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 2(1500-1830)، ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت، سنة1998م، ص381.

[2] - زوهري وليد: أدب الرحلة الجزائريين إلى مكة و المدينة، دراسة وصفية تحليلية،مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية،ع1، يونيو 2012 ، ص158

[3] ابن مسايب،ديوان ابن مسايب،جمع وتحقيق:محمّد بن الحاج الغوثي بخوشة، ابن خلدون للنشر والتوزيع،تلمسان، أكتوبر 2001،ص

[4] -عبد الله كروم،الرحلات بإقليم توات،بابا حسان،الجزائر،سنة2007،ص133,132.

.

أما **الحجازية النثرية** فقد أخذت حصة الأسد، «كرحلة "الشيخ "سيدي عبد الرحمان بن باعومر التّنلاني" (ت1189هـ)، الذي اشتهر بكثرة رحلاته طلبا للعلم أولا،وزيارة الروضة الشريفة ثانيا»[1]،و«يذكر الشيخ "باي بالعالم" أن الشيخ سيدي "عبد الرحمن بن باعومر" قام في حياته بأربع رحلات، دوّنها هو بنفسه»[2]،بالإضافة ألى العديد من الرحلات التي لايسع المقام إلى ذكرها كرحلة" أبي راس الناصري" ،و" حسين الورتلاني".

ب–الرحلات العلمية:

لا ريب أن الحاجة العلمية هي الدافع للقيام بمثل هذه الرحلات، ومن بينها:

رحلة "عبد الرزاق بن حمادوش" الذي عاش في القرن الثاني عشر (12م)،حقّقها الأستاذ "أبو القاسم سعد الله" وعن قيمتها يقول: «أنها تحفل بالمعلومات عن عصره سياسيا، و فكريا، واجتماعيا،وعن معاصريه، وأفكارهم، وأخلاقهم، ونظمهم، وأذواقهم...،كونها نادرة من نوعها » [3]، وبذلك فهي تعد مصدرا هاما يفيد المؤرخ والجغرافي...

كما نجد ضمن هذه الرحلات العلمية **الرّحلات الاستكشافية:**

ونضرب مثالا برحلة "محمّد علي دبوز" (1919-1981م)،إلى مصر لمتابعة تحصيله التعليمي1942 المسمّاة«وقفة في دار الرافعي وعلى قبره»،تظهر خصوصية المادة وانحصارها في موضوع واحد ،وهو الحديث عن الأديب و المصلح "مصطفى صادق الرافعي"، فرحل إلى المدينة التي عاش فيها (طنطا) المصرية ،وزار قبره واكتشف الأماكن والمعالم التي ارتادها[4]،بغية الإقتداء بشخصية الرافعي، والتّفاني في خدمة العلم، والإخلاص لهؤلاء الأدباء.

ج–الرحلات السياسية(الإدارية):

وهي تلك الرحلات «التي ترجع أسبابها إلى قضايا سياسية بين بلدين»[5]؛ تربطهما مصالح إدارية ، أو دبلوماسية كما هو الحال بالنسبة للجزائر وفرنسا، ونجد في هذا الصنف نوعان من الرّحلات وهما:

1–رحلات مدعمة للحركة الاستعمارية:

كانت هذه الرحلات نحو فرنسا،والهدف منها التعريف بالبيئة الفرنسية، ، والإشادة بحكومتها وحكّامها،ومن قبيل ذلك رحلتا: "محمّد السعيد بن علي الشريف"(1826-1896م)،و"سليمان بن الصيّام"(ت1896م)

---

[1] –أحمد أبا الصافي جعفري،الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7هـ حتى نهاية القرن 13هـ،ج2،ط1،منشورات الحضارة، سنة2009م، ص144.

[2] –فاطمة قاسمي ،"فن الرسالة وأدب الرحّالة قديما في توات"،الأثر ، ع10،جامعة أدرار ،ص148.

[3] –عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسمّاة"لسان المقال في النّبإ عن النسب و الحسب والحال، تحقيق :أبو القاسم سعد الله، ،الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر ،سنة2007م،ص24.

[4] – ينظر سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري،دط،دار الهدى،الجزائر،سنة 2009م ص92.

[5] – حسين نصار:عن محمّد بن عثمان المكناسي،الإكسير في فكاك الأثير(المقدمة)،ص18.

.

للاشتراك في حفل تنصيب "نابليون الثالث" سنة1852م، بدعوة من المستعمر الفرنسي نفسه،حيث ظهرت روح المجاملة للإدارة الفرنسية بادية ،تتسم بالإخلاص والولاء لها، [1]، ،على حدّ تعبير "الركيبي" لهذه الرحلة، والتي مهما قيل عنها تبقى مصدرا مهماً للدارسين، تسلط الضوء على تلك المرحلة الهامّة من تاريخ الجزائر المستعمَرة.

2-رحلات مطالبة بالتحرر:

وفي المقابل نجد رحلات داخل الوطن،بهدف بث الفكرة الإصلاحية، ونشرها بين جماهير الشعب، ودعوتهم إلى اليقظة والنهوض،وأيضا رحلات خارج الوطن ،بغرض التعريف بالقضية الجزائرية،وجلب الدعم والمساندة للشعب الجزائري،وقد تصدى لهذه الرحلات علماء وأدباء الإصلاح من أبرزهم: العلامة ابن باديس[2]، الذي قام بتنقلات داخل الوطن،وكان هدفه منها بالإضافة إلى الغاية الأنفة الذكر، الاطلاع على ما يفكر فيه المسلمون الجزائريون، و مدى احترامهم للعلم[3].

د--رحلات ثقافية:

كرحلات "أبي القاسم سعد الله"،التي نشر بعضا منها في كتبه:تجارب في الأدب والرحلة،و الجدل الثقافي، وهموم حضارية ؛ومنها رحلته إلى المغرب في 29يوليو(جويلية) 1973،للبحث عن المخطوطات التي تعينه في مادة كتابه تاريخ الجزائر الثقافي ،ويظهر لك في قوله:«توجهت إلى الخزانة العامة (المكتبة الوطنية)بحثا عن المخطوطات التي جئت من أجلها»[4]،كما التقى بشيوخ من أمثال الأستاذ "محمّد إبراهيم الكتاني" و"عبد الملك مرتاض" .

وأخيرا **الرحلات الاجتماعية** :تهدف إلى إبراز الناحية الاجتماعية بشكل أساسي مثل: رحلتي "علي مرحوم" و "محمّد الصالح رمضان"،حيث كانت الوجهة إلى الصين ،غلب فيهما الطابع الاجتماعي والثقافي والأدبي كما تضمّن ذلك بعدا دينيا أيضا.[5]

وملخص القول أن الرحلات الجزائرية اتسعت مشاربها حتى غمرت أنحاء العالم بأجمله شمالا وجنوبا ،شرقا وغربا، والتي كثرت بعد الحرب العالمية الثانية، هادفة إلى إبراز معالم الجزائر الثقافية والاجتماعية والسياسية...، والكشف عن خصوصيات الشخصية الجزائرية،ودورها في تأسيس الهوية الوطنية فركّزت أكثر على الدين والعلم و اللغة، كما عكست تقاليد وعادات الكرم والضيافة أيضا.

---

[1]-ينظر عبد الله الركيبي،تطور النثر الجزائري الحديث،دط،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع،سنة2009م،ص57-59.

[2]-« عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس" (1308هـ-ديسمبر1889م) »عبد الحميد ابن باديس، تحقيق: عمار طالبي،آثار ابن باديس،ط1،دار ومكتبة الشركة الجزائرية،الجزائر،سنة1388هـ-1968م، ص72.

[3]- ينظر محمد مصايف،النثر الجزائري الحديث،دط،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،سنة1983م،ص65.

[4]-أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب و الرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،سنة1983م،ص209.للاستزادة ينظر أبو القاسم سعد الله،في الجدل الثقافي،دار المعارف للطباعة والنشر،سوسة-تونس،سنة1993م.

[5]-ينظر عمر بن قينة،رحلات ورحالون في النثر العربي الجزائري الحديث،ط2،دار الأمة،الجزائر،سنة2009م،ص7,6.

.

الفصل الثاني: أدب الرحلة عند محمّد الخضر حسين

المبحث الأول: ماهية الرحلة عند محمّد الخضر حسين

أولا :خصائص الرحلة عند محمّد الخضر حسين

ثانيا:دوافع الرحلة الجزائرية وأهدافها

ثالثا:قيمة الرحلة وأهميتها.

المبحث الثاني: الدراسة الوصفية السردية التحليلية للرحلة الجزائرية.

أولا:الأحداث.

ثانيا:الأشخاص.

ا–التعريف بالذات

ب–تصوير الآخر.

ثالثا:سلم التواريخ والأزمنة.

ا–زمن الرّحالة

ب–زمن المكان المرتحل إليه

رابعا:سلم الأمكنة.

ا–العمارة المدنية

ب–العمارة الدينية

خامسا:الوقف

ا–المسائل العلمية

ب–وصف حلقات الدرس

ج–وصف المركب.

سادسا:معجم الرحلة.

ا–الرحلة والسفر.

ب–البنية اللغوية.

تكتسي الرحلة عند "الشيخ محمّد الخضر حسين" مفهوما خاصا،فهي الفرار بالدين،والعقيدة الإسلامية،وهي الواجب على كل مسلم عالم آله الواقع المعاش؛فأخذ يرشد،ويصلح،وينصح،وهي الحياة والغبطة لكل مسافر سار في أرض الله تعالى،و نهل من نعيم علمها و ثرواتها،ومفاهيم أخرى نستشفها في ثنايا هذا الفصل من خلال (الرحلة الجزائرية) التي تميّزت بخصائص عديدة،ميّزتها عن باقي الرحلات المعاصرة لها في العصر الحديث،فما هي الدّوافع والأسباب التي دعت الشيخ لزيارة الجزائر خلال الفترة الاستعمارية؟،وخصوصا في شهر رمضان المعظّم؟،ثم ما قيمة هذه الرحلة، وأهميتها العلمية و الأدبية،و أبعادها الإيديولوجية على القارئ العربي.

المبحث الأول: : ماهية الرحلة عند الشيخ الخضر حسين

لقد أتاحت الظروف العلمية والسياسية "لمحمد الخضر حسين"، أن يطوف أكثر من مرّة في أنحاء المشرق والمغرب العربي ،وجزءا من البلاد الأجنبية،نذكر منها محطات عديدة كانت بمثابة مسار لحياته التي قضاها بين السفر و الترحال نوجزها في الآتي :

1.رحلته إلى طرابلس 1317هـ، والتي دامت بضعة أيام فقط .

2.رحلته إلى الجزائر سنتي 1321هـ/1903م و1322هـ/1904م ،ثم 1327هـ وكانت الرحلة الثالثة والأخيرة إليها.

3.رحلته إلى اسطنبول سنة 1330هـ، والتي زار خلالها القاهرة ، فدمشق التي استقر فيها ،وشغل مناصب عديدة فيها ليعود إلى مسقط رأسه تونس في نفس السنة.

4.ليستأنف الرحلة من جديد وينزل مصر والشام، والمدينة المنورة، والقسطنطينية سنة 1336هـ، فدمشق ثم ليستقر في مصر إلى حين وفاته.

وننوه هنا أنّ المقصود هو الرحلات المدوّنة لا غيرها، التي تعتني بأدبيات الرحلة،و جوانب السّرد والوصف فيها، وقد جمعها وحقّقها كلا من :

-محمد مواعدة،محمد الخضر حسين حياته وآثاره ، الدار التونسية للنشر،سنة1974م.

-علي الرضا التونسي، الرحلات ،ط دمشق،1976م.

- المطبعة التعاونية ،الرحلات ،محمّد الخضر حسين، ،بيروت،1396هـ/1976م.

و اخترنا منها الرّحلة الجزائرية كأنموذج للتحليل، وعن الرحلة فقد كُتبت في خمسة وعشرين(25) صفحة، ابتداءً من الصفحة الخامسة والعشرين (25) إلى الصفحة الخمسين(50) ،من كتاب :محمّد صالح الجابري، رحلات جزائرية، ط1،دار الغرب الإسلامي،سنة2001م،الذي يحوي أربع رحلات بالإضافة إلى الرحلة الآنفة الذكر، ونخصّ بالذكر هنا:

رحلة الشيخ أحمد حسين المهيري سنة1922م،التي نشرها في جريدته العصر الجديد سنة 1922، 1923، بعنوان"الرحلة الجزائرية".

رحلة الشاعر التونسي سعيد أبو بكر سنة1920،ونشرها في جريدة لسان الشعب سنة،1927م 1929,1928،تحت اسم "شهران في عمالة قسنطينة".

رحلة الصحفي "الطيب بن عيسى" سنة1927م، الموسومة بعنوان "الجولة الجزائرية"،وأخيرا "جولة من التلال إلى الرمال " للشاعر الجزائري "حمزة بوكوشة"، وقد نشرتا بجريدة الوزير في سنة1932,1928،على التوالي.

أما رحلة "الشيخ محمّد الخضر حسين،فقد نشرت بمجلة السعادة العظمى، ع16/20,19 شوال1322هـ-23ديسمبر1904م،ص259-304، وع21غرة ذي القعدة1322هـ-7جانفي1905م،ص332-336[1].

و قد انفردت بالتحقيق والنشر، دون سواها من الرّحلات المذكورة سابقا.

أولا:خصائص الرحلة عند الشيخ الخضر حسين

أما عن خصائص رحلاته فنجملها في الآتي:

1- إن بداية رحلاته تتشابه في الرحلة الجزائرية،بذكر المكان والزمن المقدر بالساعات،واليوم أيضا،مضيفا وسيلة النقل المتخذة في الرحلة .

2-خاتمة رحلاته تختلف من رحلة إلى أخرى فتارة تكون بجواب عن مسائل فقهية، وتارة بوصف لمشاهد الدرس، وتارة أخرى يختمها ببيت من الشعر.

3-إن رحلات "الشيخ الخضر حسين متنوعة" ،وشاملة لكل جوانب الحياة، إلا أنّ السمة الغالبة عليها هي السمة الثقافية العلمية الدينية ،ولا غرابة في هذا على اعتبار أنّنا أمام عالم فقيه أديب، ترك لنا بصماته في الساحة الثقافية الفكرية الجزائرية ،والعربية عموما، فرحلته إلى الجزائر كانت رحلة علمية ، عرض فيها مشاهداته وأخبار الجزائر.

4-رحلاته واقعية مستمدة من يومياته في هذه المناطق، استطاعت نقل الواقع المعايش بصورة حقيقية،و أمانة علمية صادقة، بعيدة عن الخيال والرومانسية .

5-كان تدوينه لرحلاته تلبية لقناعة ذاتية ، وليس استجابة لطلب جهة من الجهات .

6-رحلاته ذاتية قام بها بنفسه ، كشفت لنا انطباعاته وخواطره ، و ميولاته الفكرية .

7-اعتماده على الموازنة والمقارنة لمظاهر الحياة،والسلوك البشري،ونقده لها،محاولا إبراز السمات التي تميز المجتمع الجزائري عن غيره ،كبحثه في العادات الخاصة بالجزائريين في شهر رمضان .

8-تمتاز رحلاته بدقة الملاحظة الوصفية الشاملة،لخّص فيها المواضيع الثقافية،والدينية،والفكرية،والاجتماعية، وشيئا من الجغرافيا،دون المساس بالمواضيع السياسية،أو الاقتصادية،ويظهر ذلك في وصف حركة ونشاط المساجد، وازدهار حلقات الدرس ، وتوافد الطلاب.

9-تمتاز رحلاته بنظرة تحليلية سيكولوجية سوسيولوجية نفسية،للمجتمعات،تظهر من خلال وصفه لمشاعره إزاء مقابلة العلماء ،وطلبة العلم وكيفية إقبالهم على الدروس وحلقاتها، وكذا تحليله لطباع أهل الجزائر وأخلاقهم.

[1]-ينظر محمّد صالح الجابري،رحلات جزائرية، ط1، دار الغرب الإسلامي،سنة2001م،ص50-148.

10-تركّزت رحلاته على تتبع المراكز الثقافية كالمساجد والمكتبات،والمدارس القرآنية ،لتقديم تقرير حول حالتها العلمية والثقافية.

وخلاصة القول أن هذه الخصائص تدل على شخصية الشيخ ذات الذخيرة الواسعة،و عدم التحيز في البحث ، وتحليه بالأمانة والصدق ، والنزاهة في الوصف ، وإعمال التأمل والتفكير ، والنقد والتدقيق من أجل الوصول إلى الكشف عن جميع جوانب رحلته الجزائرية .

ثانيا:دوافع الرحلة الجزائرية و أهدافها.

لا ريب وأن لكل رحلة أسباب ودوافع أدت إلى نشوئها ، كما هو الحال بنسبة لرحلة" الشيخ محمد الخَضِر حسين"،إذ يذكر في مقدمة رحلته سبب قيامه بهذه الرحلة، التي تعتبر الرحلة الثانية للمملكة الجزائرية، بعدما زارها سنة 1903م،أي العام الماضي،ولأنها كانت مشرقية الوجهة ،عزم على زيارتها مجددا، والتوجُّه إلى الجزائر العاصمة بالذّات ، ويمكن تلخيص هذه الأهداف في النقاط التالية :

1. الاطلاع على أحوال الجزائر العلمية ، والاجتماعية ، والثقافية .
2. التعرّف على أخلاق الجزائريين وسماتهم الغالبة.
3. إبراز العادات والتقاليد العامة لأهلها .

انطلاقا من قوله :«كنت أسعفت فيما سلف من الزمان بإجراء سياحة في أطراف (المملكة الجزائرية)، وبقيت النفس مستشرفة إلى إعادتها تارة أخرى إلى مدينة الجزائر نفسها ، لنكون على بيّنة من مقدار ما تبلغ إليه حالتها العلمية وجلية من أمر أخلاق أهلها الغالبة ، وعاداتها العامة. »[1]

فالملاحظ أن هذه الدوافع والأهداف كانت مرسومة ومخطّطة سابقا من قبل الشيخ ، فهل سيتمكن من تحقيقها؟ أم أنه سيحقق أهدافا أخرى لم يكن يصبوا إليها؟

ومنه نخلص أن سبب القيام بالرحلة هو ذاتي محض ، يختص بكيان الشيخ محمد الخضر حسين بنفسه ، كما أن سبب تدوينها ذاتي أيضا ، فلم يكن لتلبية طلب شخص ما ، وإنما كان رغبة منه في إفادة القراء ، حيث اعتنى بها ونشرها في «صحائف مجلة السعادة عسى أن يعتبرها مطالعوها الكرام بمثابة فصل انتزعت شذوره من مجلّد ضخم من أنباء الأمة الجزائرية من جهة معارفها وأخلاقها »[2]،وفعلا كانت رحلته هذه صفحة من صفحات تاريخ الجزائر الحديث،و مصدرا من المصادر الأساسية التي تجمع بين طيّاتها جوانب عديدة من حياتها العامة.

فأبى إلّا أن ينقل صورة عن ذلك الواقع إلى القارئ العربي عموما، والتونسي خصوصا لمعرفة أحوال أشقائه الجزائريين ،ومن ثمّ فإنّ توجّه الشيخ بالرحلة نحو الجزائر،إنّما هو أداء لواجب الأخوة بين المسلمين،وواجب الدعوة الإسلامية الذي يرى أن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ،لكن لماذا؟

---

[1]-محمّد صالح الجابري:رحلات جزائرية،ص25.

[2]-نفسه،ص25.

لأنّ الذي لا ينشغل بأحوال المسلمين ومطامحهم قد قطع كلّ أواصر الرّحم والتواصل،ولم يُجسّد مبدأ التعاون الإسلامي، و التألّم لما يصيب الآخرين.

ثالثا:قيمة الرحلة وأهميتها

تنطوي الرحلة الجزائرية على قيمة و اهمية بالغة نوجزها في النقاط التالية:

1-تعكس صورة حية عن اهتمام الصحافة التونسية ، خلال الثلث الأول من القرن الأول من القرن العشرين 1904م ،الموافق للقرن الرابع عشر الهجري 1322هـ ،بالجزائر والكتابة عن الرحلات إليها ،وهذا جلي وواضح من خلال مجلة السعادة العظمى .

2- تدفع الإنسان لكتابة يومياته،وتسجيل وقائعها،والتأريخ لزمانه،ولعلّ ذلك يخفى عن الأعين إبّان حدوثها (الحاضر) لكنّه يبقى بالغ الأهمية في المستقبل.

3-تؤرّخ لفترة هامة للجزائر خلال الاحتلال الفرنسي لها، وتعرض صورة حيّة عن تلك الفترة الاستعمارية.

4-ثراؤها بالمعلومات عن بعض الشخصيات الجزائرية كالشيخ "الشيخ عبد القادر المجّاوي "،و"عبد الحليم بن سمّاية"....، وعن بعض معالم مدنها، وجوانب من الحياة العامة لذلك العصر.

5-حرص الشيخ على كتابة التاريخ الهجري ،وإعطائه عناية فائقة.

6-تبرز الميول الفكرية للشيخ "محمد الخضر حسين"،حيث عدّد لقاءاته بالشيوخ في المدن المرتحل إليها، الذين عرفوا بأفكارهم الإصلاحية في مجال الدين والسياسة، وهو المجال الذي يتقاطع و إيّاهم فيه.

7- تسليط الضوء على اهتمامات علماء الجزائر في ذلك العهد،وهي اهتمامات دينية وفقهية في معظمها .

8- نفوذ الطرق الصوفية.

9-الإشادة بخصال الجزائريين ،وما يتحلّون به من أخلاق فاضلة ، وشيم عالية...

10-تبرز عناية الجزائريين بالمساجد ، بما يليق بهذه المعالم من مكانة دينية وعلمية.

المبحث الثاني:الدراسة الوصفية السردية التحليلية للرحلة الجزائرية.

الرحلة الجزائرية تقوم كما هو الشأن في نص الرحلة عامة على الذّهاب والإياب،وهذا يولّد بالضرورة سرداً، مداً وجزراً ،خطيا وأفقيا،يحرص فيه الرّحالة على سرد الأحداث،والشخصيات،والأمكنة،والأزمنة... «إنّ البحث عن ماهية البناء السردي في الرحلة،لا يجب أن يتمّ على مستوى النص اللغوي المادي؛ إنّما هو خلاصة هذا التفاعل الحضاري للحضارة العربية الإسلامية ،وتشكيل المبنى الحكائي النهائي للرحلة،لا بدّ أن يمرّ بامتصاص كل السياقات المعرفية الداخلة في تشكيله ،بدءً بحياة الرّحالة ثم الظرف السياسي والحضاري،وتصنيفه داخل مسار تفاعله مع الرّحالة ثم رسم مسار رحلته ،كلّ ذلك سيشكّل في النهاية الشكل السّردي للرحلة في حالات الحضور والغياب»[1]،بناء على ذلك التفاعل النصي للرحلة.

[1]-بولعسل كمال،سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي،رسالة ماجستير،إشراف يوسف وغليسي،جامعة منتوري قسنطينة،كلية الآداب واللغات،2005-2006م،ص25.

أما الوصف في الرّحلة ،«محاولة من قبل الرحّالة لتسمية المرئي في تموقعه المكاني أولا، ثم الانتقال ثانيا إلى تموقعه الزّماني عند تفسيره،أو تأويله من قبل الرّحالة.

ولكل مجال من مجالات اشتغال الوصف معاييره الخاصّة التي تسمح بترتيب مؤثرات المجال الوصفي تبعا لوظيفتها ودلالاتها داخل كل مجال على حدة»[1]،وبالتالي فإن الرحّالة هنا يصف ليسرد،ويسرد ليصف،والوصف لا يفترق عن السّرد ،بل يشكل جزءًا منه.

كما أنّ «هيمنة الوصف على خطاب الرحلة يجعلها من المؤلفات الوصفية غير القائمة على الحبكة ،فتشير بعض الدراسات إلى إشكالية سردية الرّحلة،وتعود في الأساس إلى التعارض بين الرّحلة باعتبارها انجازا خطابيا لأحداث حقيقية،وبين التخييل الذي يميّز الخطابات السّردية الأخرى،ويشكّل مدار سرديّتها إذ أنّ قصّة المسار، والقصص التاريخية في خطاب الرّحلة حقيقية،وعناصر هذه القصص من فضاءات،وشخصيات مرجعية،مما يجعل الخطاب الرحلي أكثر التصاقا بخطابي السيرة،والتاريخ اللذين يَعمد بعض المنظرين إلى إخراجهما من دائرة الخطابات السّردية بسبب افتقارهما للتخييل»[2]،وهذا مانجده في خضم هذه الرّحلة،فهي رحلة واقعية ،ذات شخصية حقيقة ،وأحداث تاريخية،وبالتالي تفتقر للسردية المحكمة،والنسج الخيالي.

أولا:الأحداث.

جلي بالذكر أن لكل رحلة تامة ثلاث محطّات مكونة لمسارها الكامل:

ا–مرحلة الانطلاق:

يقصد بها الإشارة إلى نقطة الانطلاق التي تعد بداية الرحلة،غير أنّ الشيخ "محمّد الخضر حسين"، لم يذكر قصّة انطلاقه في نص رحلته، وإنما يمكن الجزم هنا أنها (تونس)،ففي هذه الفترة كان مقيما بهاسنة1904م.

ب–مرحلة المسار:

تشكل هذه المرحلة أهم مرحلة من مراحل الرّحلة،و يتشكّل خطّها من نقطتين هما،نقطة انطلاق ونقطة وصول على النحو التالي:

1.تونس–سوق أهراس:

تطرق الشيخ للحديث عن زمن سفره، وظروف رحلته التي قادته إلى(نقع) بسوق أهراس،أين جاب شوارعها،وأخذ فكرة عن الحياة العامة فيها،كما تحدّث عن مسامرة علمية عُقدت أثناء تواجده في مسجد من مساجدها، تعرّف خلالها على شيوخ أجلاء.

2.سوق أهراس–تبسّة:

[1]– ينظر عبد الرّحيم مودن،الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي،سنة 2006م، ص279.

[2]–فاطمة بوطبسو،أدبية الخطاب في رحلة"نور الأندلس"لأمين الرّيحاني،رسالة ماجستير،إشراف عبد الله حمادي،جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات،2010-2011،ص190

عرض فيها الرحّالة الحالة الثقافية لمدينة (تبسّة)،والتي كانت تخلوا من آثار التعليم، لولا وجود بعض أهالي الجريد فيها،غير أنّ ذلك لم يمنع تمسّك سكانها بالديانة الإسلامية،و مخافة الشبهات، قياسا على ما لاحظه من إقبال التجار على المسجد للشورى، وسماع الفتوى.

3.تبسة–عين البيضاء:

يذكر خلالها انشراح صدره لمحاورات علمية،مع وفد من أهل العلم،ومن بينها مسألة الفرق بين الكل والكلّية.

4.عين البيضاء–قسنطينة:

التي استهلها بالحديث عن استطلاعه لبعض معالمها الدينية، وآثارها القديمة و الحديثة،فقام يعدّد مدارسها، و جوامعها،ولقائه بأشهر علمائها كالشيخ "حمدان بن الونيسي"،وكالعادة يتطرّق لذكر بعض المسائل التي تخص تفسير القرآن و الربط بين آياته[1].

5.قسنطينة–باتنة:

هذه الرحلة وجد فيها رفيقا يؤنسه مكوّنا في شخص ابن عمّه" الشيخ الحسن" ،الذي طاف به مدينة(باتنة)، وعرّفه على رجال من أهل العلم و الأدب فيها ،عقد السّمر معهم مقدار ثلاث ساعات كاملة ختمها شعرا.

6.باتنة–عاصمة الجزائر:

تمثل(الجزائر العاصمة) النقطة الهامة من هذه الرّحلة، ذلك لأنّها الهدف الأساسي من الرّحلة،و أقام بها أيّاماً ولياٍل،قضاها بين التجوال فيها ،وزيارة مدارسها الإسلامية،ومساجدها القرآنية،وعقد المحاضرات،ومناقشة المسائل الفقهية و الدينية.

ج– مرحلة الوصول:

لكل بداية نهاية،ونهاية الرّحلة تكون غالبا من مكان بدايتها،إلاّ أنّه ليس بالضرورة أن يكون وصول الرّحالة إلى المكان المبتغى معيارا لتحديد زمن الوصول،فلربما كانت تلك النقطة بداية رحلة جديدة،وبالتالي تكون لدينا سلسلة رحلات –وفقا للمعيار المكاني–ضمن رحلة واحدة إلى منطقة معينة،يجول فيها الرّحالة عبر أقطارها من مدينة إلى أخرى،فحط الرحال فيها يكون بداية لرحلة ثانية،فتكون نقطة وصول وانطلاق في آن واحد.

وهذا ما لاحظناه عند "الرّحالة الخضر حسين"،الذي قام برحلته إلى مملكة الجزائر كرحلة عامة،شملت عدّة رحلات جزئية باتجاه بعض من مدنها التي كانت منعرَج رحلته،أماّ طريق عودته إلى بلده (تونس) فلم يذكر شيئاً عنه،غير أنّه لما استقرّبه المقام ،قبض قبضة من آثار سفره ونبذها في صحيفة السعادة[2].

[1]–ينظر محمّد صالح الجابري :رحلات جزائرية،ص25–33.

[2]– ينظر نفسه،ص25–50.

ثانيا:الأشخاص.

يقصد الرّحالة في كتاباتهم غالبا، تصوير الوقائع، وتقديم معارف عن الذات ، وانطباعات عن الآخر ،إما عن طريق سرد الأفعال، و وصف الأشخاص فرادى وجماعة،أو تحديد الطبيعة وما يحيط بها من ظروف اجتماعية ، سياسية، ثقافية ، دينية...الخ .

أ–التعريف بالذات (التجربة الذاتية) :

ويكون هذا التعريف باعتماد الأساليب المباشرة التي تفصح عن الصفات الخُلقية والخَلقية للرّحالة، وخصائصه النفسية والفكرية، من خلال تفاعل الزمان والمكان،السّارد والمسرود له .

غير أنّ الشيخ "محمد الخضر حسين"، لم يذكر لنا أي تحديدات لصفاته الجسمانية ، وإنّما عرض لنا شيئا من أفكاره، ويمكن إجمال بعض الصفات المعنوية فيما يلي: الإمام الناصح، والمفتي القاضي،والعبد الضعيف ، والفقيه البليغ، والمفسر الراشد، والإنسان المسافر ، والصحفي المطّلع، والمطالع المجد ...

فلا يخفى علينا أن تحصيله العلمي،ونبوغه الفكري ، وانتمائه لعائلة ذات علم وشرف ، كان له الأثر العميق في تكوين شخصيته الإسلامية العربية ، التي برزت في الساحة المغاربية ، والمشرقية أيضا .

ب– تصوير الآخر:

ويشمل جميع الشخصيات المحيطة بالرّحلة ،فقد يكونون أناسا مرافقين في الرّحلة ،أو قابلهم الرحّالة بالمناطق المقصود زيارتها،و ما يلفت الانتباه أنّ رحلة "الشيخ الخَضِر حُسين" من أوّلها الى آخرها، تزخر بذكر خاص لأهل العلم والعلماء ، ذلك أنّ الرّحلة في حد ذاتها رحلة علمية ، اهتم صاحبها بإيراد العديد من الشخصيات والأعلام المغمورين والمعلومين على حد سواء ، مع ذكر لأوصافهم الحسية تارة، والمعنوية تارة أخرى.

1–طلبة العلم:

وقد ذكر الرّحالة أصنافا عدة ،نجملها في الآتي:

ا– المطالعون: المواظبون على مطالعة الصحف والكتب.

ب– المتخرجون بالجامع الأعظم : وهم المتمدرسون الحاصلون على شهادة التخرّج بجامع الزيتونة بتونس.

ج–تلامذة المدارس والمساجد:

كان دقيق الملاحظة والوصف ،معلقا على كل ما وقع عليه نظره فيقول:«رأيت في يد أحدهم سفرا»،وكان ذلك الشخص تلميذا في مسجد بسوق أهراس يَدرُس التّوحيد ، وما تيسّر له من العلوم الدينية.

ومنهم أيضا:

- من اجتمع بهم الشيخ في (عين البيضاء)،و ذاكرهم بتقرير بعض الأحاديث، بعدما فرغوا من قراءة القرآن[1].

[1]–ينظر محمّد صالح الجابري:رحلات جزائرية،ص25–31.

- جماعة الطلاب الذين يجلسون على شكل مستدير في جانب من الجامع، ويحضرون دروسا متنوعة كالتفسير ، ويسألون ما استفهم عليهم من أمور في دينهم ودُنياهم .
- جماعة من الطلبة على شكل دائرة يتناوبون سرد صحيح الإمام البخاري واحدا بعد واحد.

2-الشيوخ و العلماء :

وهم الذين اعتنوا بالعلم ، وسلكوا طريق الحق ، فعملوا على نشر العلم ، ومحاربة الجهل وقد ذكر الشيخ الخَضِر حُسين العديد من الشخصيات منهم :

ا- المسترشدون :(ج مسترشد)، وهو الذي يقوم بدور الإرشاد والتوجيه في المسجد ،وقد ذكر الشيخ تدخل أحدهم بسؤال نصه:«هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يحلق رأسه أم لا؟»

ب- القضاة: كالشيخ "محمد الصالح بن الشايب" ، العدل بالمحكمة القضائية فوصفه بوصف دقيق قائلا:« رجل تلوح على وجهه سمة أهل العلم».

ج-المدرسون :وهم كثر منهم شخصيات مغمورة وأخرى معلومة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

-«الشيخ "محمد العربي ابن قشوط" ، والشيخ "المسعود بن علي"، والشيخ "أحمد بن ناجي"» ، وهم أئمة وشيوخ لقيهم الرحالة في مسجد من مساجد عين البيضاء (أم البواقي حاليا) .

-الشيخ حمدان بن الونيسي(1856-1920)[1]،وقد التقى به شيخنا في قسنطينة ، بعدما تعارفا في تونس.

-كما التقى بالشيخ محمدبن شنب[2] ،عند محل السيد "أحمد بن مراد"المعد لبيع الكتب.

-العالم البارع الشيخ محمد بن مصطفى خوجة[3] ،. والذي لقيه بدكان في عاصمة الجزائر.

3-رجال من العامة :

أعيان التجار : وهم المشتغلون بالتجارة،ومنهم الذين أتوا للاستفسار في أمور تجارتهم بمدينة(تبسة) [4].

---

[1]- «(ت1330هـ-1912م) وهو فقيه أديب عالم ، أستاذ عبد الحميد بن باديس ، هاجر إلى الحجاز سنة 1908م، مات بالمدينة المنورة». عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين 1413هـ ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر سنة1995، ص348.

[2]-«(1286-1347هـ/ 1869-1929م) الجزائري الأديب الباحث ،أحد رواد النهضة العربية الحديثة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين» الموسوعة العربية ،مج11، الجمهورية العربية السورية، رئاسة الجمهورية ، هيئة الموسوعة العربية، دمشق،16 سنة 2005م ص787.

[3]-«ت (1915م/1333هـ)،ولد المدعو الكمال في مدينة الجزائر(1282)،عيّن حزّابا في الجامع الأعظم بمدينة الجزائر، ثم عين بنفس الوظيفة بالجامع الجديد، ليكلّف بالتدريس في الجامع الكبير(1304هـ/1886م) ، ناضل من أجل الإصلاح الديني، والدّعوة للابتعاد عن الخرافات والى الاستقامة الأخلاقية».أبو عمران الشيخ وآخرون،معجم مشاهير المغاربة،منشورات دحلب،الجزائر،سنة2007،ص171,170.

[4]- محمّد صالح الجابري:رحلات جزائرية،ص28-42.

"علي بن الحداد":أحد أفاضل التجار بالجزائر العاصمة،ويملك محلا تجاريا تتسامر فيه جماعة من أعيان العلماء. و السيد أحمد بن مراد :يملك محلا لبيع الكتب .

4-المرافقون للرّحالة :

ويتمثّل في شخص ابن عمه "الشيخ الحسن"،الذي رافقه في السفر من (قسنطينة) إلى (باتنة) ،وهو أيضا بمثابة الدليل في الرحلة ، كونه يعرف مدينة باتنة وشوارعها ، وبعض رجال أهل العلم والأدب فيها.

وما نلاحظه من خلال هذا العرض لبعض شخصيات الرحلة،عدم تفاعلها بناء على ولادتها وموتها،وفقا للحلول المكاني ومغادرته،وعدم وجود شخصية بارزة(البطل)غير شخصية الرّحالة نفسه، ،و انعدام الشخصيات الخيالية،كون جميع الشخصيات واقعية،والرّحلة في حدّ ذاتها،وتمازج المؤلّف مع الشخصية المركزية الفاعلة، و المنتجة للحدث في آن واحد.

ثالثا:سلم التواريخ و الأزمنة.

لا ريب و أنّ للتأريخ (التقويم الهجري أو الميلادي)،أهمية كبرى في تحديد الزّمان؛ ذلك لأنّ التاريخ يُحكم بالتواريخ،وبما أن الرّحلة وثيقة تاريخية،تعمَدُ إلى ذكر التواريخ الشاملة لأحداث الرّحلة كان لعنصر الزمن الأثر الأكبر في تبيان مراحلها المختلفة.

أولا:زمن الّرحالة

وهو ذلك الزّمن الذي يخضع لظروف الارتحال ومصاعب الطريق...الخ،إنّه زمنٌ «فزيائي»له بداية ونهاية،ومسالكه خاضعةٌ لطبوغرافية مرسومة،والرّحالة لا يتردّد في الإشارة إلى اليوم والتاريخ الهجري..الخ.[1] ويخضع لظروف الارتحال و مصاعب الطريق.

كما هو الحال في الرحلة الجزائرية،أين عمد الرّحالة الشيخ "محمّد الخضر حسين" إلى تحديد التاريخ وربطه بالحدث المؤرخ له بدقة متناهية ،فجعل من رحلاته يوميات، مضيفا إليها عنصر الزمن المقدّر بالساعات بناء على زمن الانطلاق، و زمن الوصول كما يلي:

سوق أهراس:الساعة الثامنة صباحا من اليوم الخامس من الشهر المذكور رمضان (سنة1322هـ /12نوفمبر1904م).

-الساعة الخامسة صباحا سافرت إلى تبسّة، فوصلناها بعد مسير خمس ساعات؛أي يوم (6رمضان).

-و من الغد(7رمضان) قصدت عين البيضاء في الساعة السادسة مساءً، فوصلنا في الساعة الخامسة صباحاً(8رمضان)[2].

[1]-عبد الرّحيم مودن،الرحلة في الأدب المغربي.دط،أفريقا الشرق،المغرب،سنة2006،ص20.

[2]- ينظر محمّد صالح الجابري :رحلات جزائرية،ص30-42.

-بارحت عين البيضاء في الساعة السادسة صباحًا،فوصلنا قسنطينة بعد مسير الرتل ست ساعات تقريبا(9رمضان).

-توجّهنا إلى باتنة فوصلنا في الساعة الثامنة مساءً(10ومضان).

-وفي الساعة الخامسة صباحاً تحرّك بنا القطار من باتنة (11رمضان)حتى ضرب سواد اللّيل أطنابه،وفي الساعة الثامنة أشرفنا على عاصمة الجزائر.

-ومن الغد تشرّفنا(12رمضان).

-وفي اليوم الثاني من إقامتنا(13رمضان).

-وفي صبيحة تلك اللّيلة(14رمضان)...في آخر يوم من إقامتنا.

فالمتتبع لتاريخ هذه الرحلة وزمنها،يكتشف أنّها دامت عشرة أيام كاملة،كانت الثلاثة منها في عاصمة الجزائر والباقي بين أقطار المملكة الجزائرية،والتي قام بها في شهر رمضان المعظّم هذا الشهر الفضيل المميز لدى كافة المسلمين.

ثانيا:زمن المكان المُرتحل إليه

ونقصد به زمن« اللّازمن »،وهو زمن الأرض بالجزائر،ونلفت النظر هنا أنّ الرّحالة قد اعتنوا اعتناءً كبيرا بإبراز الحالة الاجتماعية،والسياسية،والاقتصادية،والثقافية للبلدان التي زاروها،إلّا أنّ الشيخ هنا اكتفى بذكره للناحية العلمية،والثقافية،والاجتماعية،وأغفل الناحية السياسية.

ففي نص الرّحلة لا نجد أي إشارة للصراعات و الخلافات الواقعة في ذلك العصر،أو حتى معارضة الاستعمار للحركات الثقافية والدينية،وممارسة الشعائر الإسلامية في شهر رمضان المبارك،وغير ذلك فإن الشيخ قد وفق في إبراز الحياة الفكرية و الثقافية ،والاجتماعية،والعمرانية للجزائر .

1- البيئة السياسية

كان الشيخ حريصا كل الحرص من خلال تآليفه ومجلاته الابتعاد كليا عن الجانب السياسي، ومجانبة الخوض في غمار السياسة،فمعلوم-كما ذكرنا سابقا-أنّ الشيخ عاصر«زمنا غير زماننا،فالاستعمار تتوزع أعلامه وتختلف من قطر إلى آخر،ولكنها تتفق على قهر الإنسان العربي،وتمزيق الرّوابط التي تشدّ كيانه،... فاضطرّ إلى الارتحال من مكان إلى آخر،ومن موطن إلى غيره، بحثا عن الحرية،وهربا من الاستبداد ...،إلى أن استقر به المقام في مصر»[1]،فأثناء ترحلاته صادف العديد من المواجهات مع السلطات الاستعمارية التي أعلنت الحرب ضدّه،وكهربت الجوّ من حوله،وحبكت المؤامرات لتنبيهه عن مشاريعه الإصلاحية،وصدّه عن طريقها تلبية لمصالحها،وتحقيقا لأهدافها خاصّة،وأنه رفض الخضوع لسلطتها،والرّضوخ لسياستها.

ولذلك سلك سبيل الدعاة و الصالحين من عباد الله الذين وجدوا في أرض الله الواسعة ملاذا ينشرون فيه أفكارهم وآرائهم الإصلاحية والتربوية لإخراج العالم الإسلامي ممّا يعانيه من تمزّق و تفكك.

[1]-صلاح زكي أحمد:أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث،ص154.

فلقد شهد القرن التاسع عشر أحداثا تاريخية وسياسية هامّة، فعلى الصعيد العالمي كانت هذه الفترة تزامن« اندثار الخلافة العثمانية التي كانت قد دخلت زمن المغيب منذ السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، وهي عوامل دعت إلى العزلة وارتفاع الحواجز بين هذا القطر أو ذاك»[1]،ما أدى إلى ضرورة التواصل بينها والتطلّع على أحوالها.

أما في الجزائر فتسارعت الأحداث الواحدة تلوى الأخرى،«كثورة العمري بالأوراس1239هـ/1876م،وثورة الشيخ بوعمامة 1879م،وشرّعت الحكومة الفرنسية قوانين خاصّة بأرض الجنوب 1320هـ/1902م ،ثم صدور قانون فصل الديانة عن الحكومة سنة 1322هـ/1905م»[2]،وعلى إثر هذه التطورات كان من شأن رجال الأمّة،ومثقفيها النهوض لمواجهة هذا المصاب الجلل بشن ثورات عديدة،و إصلاحات كثيرة ،شملت ميادين الحياة.

2-البيئة الفكرية و الثقافية:

لقد أحدثت الظروف السياسية انعكاسا كبيرا على الحياة الثقافية،والكتابات الأدبية بما فيها الرحلة ،«فقد أدى تصاعد الحركة الاستعمارية الأوروبية للعالم الإسلامي بما فيه الوطن العربي،إلى انتعاش هذا اللّون الأدبي،فصار أدبيا خالصا ،بعدما تراجعت فيه الجوانب الجغرافية والتاريخية،فلم تبق إلّا في حدود صلتها بالواقع السياسي و الاقتصادي والثقافي والاجتماعي»[3]،وهي سمة غالبة على جميع رحلات العصر الحديث

لا تخلو أي رحلة تامة الأدبية،من إبراز ملامح الحياة الثقافية والفكرية للإنسان في تلك البقاع التي رحلوا إليها،ومن قبيل ذلك قوله:

-«ألفيناها منفوضة الجراب من آثار التعليم» [4]،أثناء وصفه لمدينة تبسة، وهي دلالة على قلّة العلم والعلماء فيها.

-«فلمّا وافينا المسجد وجدناه غاصا بتلامذة ذلك المدرَس» [5]،وهي كناية على الإقبال الكبير لتلامذة العلم على المساجد ، في عين البيضاء.

وبين هذا وذاك لا يخفى أنّ« الجزائريين كانوا مستعدّين للتطور لو وجدوا من يأخذ بيدهم إليه فبعد أن أمكن لفكرة التعليم أن تنتشر قاموا بتنظيم مدارسهم القرآنية و أصلحوها وربطوا بين أجزاء التعليم»[6] فيها،كما كان للاستعمار الفرنسي دورا في توجيه الظروف المعيشية ،فنشر البدع والخرافات والأباطيل، وإزّاء هذه الأوضاع كان رد الفعل من قبل جماعة من الفقهاء المسلمين والعلماء الذين أقلقتهم الحالة الراهنة وأقلق ضميرهم سوء الحياة

---

[1]- صلاح زكي أحمد:أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث،ص154.

[2]-عبد الرحمان الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ج4،ط4،دار الثقافة،بيروت،سنة1400هـ/1980م،ص331.

[3]-ينظر عمر بن قينة:رحلات ورحّالون في النثر العربي الجزائري الحديث،ص6.

[4]- محمّد صالح الجابري:رحلات جزائرية،ص29.

[5]-،نفسه: محمّد صالح الجابري ،ص30.

[6]-أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،ج3(1830-1954)،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت، سنة1998م،ص37.

الاجتماعية، وهؤلاء كانوا الرواد الأوائل لحركة الإصلاح الديني والأخلاقي والاجتماعي فحاربوا البدع وحاولوا تحريك المجتمع،وبذروا روح الحركة الإصلاحية من أمثال:« الشيخ محمّد بن علي السنوسي في سنة (1276هـ/1859م)، محمّد عبده الذي زار الجزائر (1321هـ/1903م)»[1]،وكان لمجيئهما أثرا قويا في انتشار طريقتها الصوفية.

وتذكر الأستاذة أنيسة بركات أن الزوايا في الجزائر «بلغت حوالي 349زاوية،وعدد المريدين أو الإخوان 295.000مريدا»[2] ويشير الباحث أبو االقاسم سعد الله إلى أنه «منذ أواخر القرن الماضي بدأ التفكير في توسيع دروس المدرسين تبعا لإصلاح المنظومة التعليمية الذي جاء سنة1895م،وكان هدف المسؤولين الفرنسيين امتصاص عدد من خرجي المدارس الشرعية (الفرنسية) الذين بقوا بدون عمل ...مشكلين في نظر الفرنسيين خطرا عليهم ،وهكذا شرع الاستعمار منذ حوالي 1900 في إحداث دروس في المساجد لم تكن من قبل ،ووقع تجنيد عدد من المدرسين في مساجد كانت مهملة منذ عشرات السنين»[3]،وهذا ما لاحظناه من عناية الشيخ بالمساجد والمدارس نظرا لاسترجاعها مكانتها،ونشاطها و حركيتها،غير أنّ ذلك لا يعني اهتمام المستعمر بها ،بغية نشر العلم والتعليم،إنّما كان لغايات أخرى وهي صرف هؤلاء المدرسين عن الاشتغال بسلطتها،ودفعهم عن طريقها.

3-البيئة الاجتماعية:

وهي الدراسة السوسيولوجية للمجتمع الجزائري،ويضم ذلك الحديث عن طبقات المجتمع،وعناصره، وعاداته، واحتفالاته، ومواكبه،أما ما كان من غير المسلمين من سكان هذه البلاد فإنهم يومئذ أقلية ضئيلة من أهل الكتاب:نصارى و يهود[4]،كان معظمهم يشتغل في التجارة.

وفي هذا الوضع عملت الطبقية الدّور الأساسي،في التأثير على سير الأحوال الاجتماعية و الاقتصادية خاصّة في ذلك العصر ،فكان التقسيم الاجتماعي طبقتين مختلفتين:

الطبقة الحاكمة:وهي طبقة غنية تمثل فئة قليلة من مجمل السكان الكلي،محصورة في المستعمرين.

الطبقة المحكومة:وهي طبقة فقيرة تمثل غالبية السكّان «فالغنى للمستعمرين،والفقر،والبؤس،والجهل للجزائريين»[5] ،وبناء على ذلك كان لابد من إعادة توزيع لثروات البلاد وإصلاح أنظمتها السياسية أولا،وهو مادعى إليه رجال الإصلاح وجمعية العلماء المسلمين وقتها.

---

[1]- عبد الرحمان الجيلالي:تاريخ الجزائر العام،ص252.

[2]-أنيسة بركات،محاضرات و دراسات تاريخية و أدبية حول الجزائر،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،سنة1995م، ص217.

[3]- أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،ج3(1830-1954)،ص65.

[4]- عبد الرحمان الجيلالي:تاريخ الجزائر العام،ص252.

[5]-أنيسة بركات: محاضرات و دراسات تاريخية و أدبية حول الجزائر ،ص217.

كما أعطى لمحة عن التركيبة السكانية في مدينة قسنطينة فقال:«عدد سكانها نحو55ألف نسمة،نصفهم من المسلمين،وأربعة آلاف من اليهود،والباقي من الإفرنج»[1]وهي إحصائيات توحي بتنوع العناصر البشرية المكونة لسكان قسنطينة،في فترة كانت خاضعة لسلطة الاستعمار الفرنسي.

وإتماما للفائدة يجمل لنا الرحالة بعض السنن الدينية الحسنة للجزائريين خلال الشهر الكريم نحو:

1-قراءة القرآن الكريم،حيث يتم توزيع أجزاء نسخة قرآن على الحاضرين في المساجد في كل ليلية جمعة.

2-القيام بمحاضرات و دروس ومسامرات في العبادات و المحاورات العلمية ،وطرح المسائل الدنيوية والدينية.

3-المناوبة على سرد صحيح الإمام البخاري واحدا بعد واحد،في حضرة الشيخ ليصوب أخطائهم.

4-إلقاء درس في كل ليلة من الأربعين النووية .حيث يختار شيخ المسجد حديثا يجعله محور المناقشة.

وقد ساهمت هذه السنن الحميدة المتعلقة بالشهر الفضيل وغيرها من المناسبات الدينية المجيدة في تعميق التشبث بعناصر الهوية والثقافة الإسلامية التي طالما حاربها المستعمر الفرنسي بشتى الوسائل .

رابعا:سلّم الأمكنة

يقوم الوصف في مجال الأمكنة على خلق طبوغرافية ثقافية تفاضل بين مكانين[2] هما:المكان المزار، والطبيعة المحيطة به،وعبر هذه الثنائية تبرز القيم الزمنية والمكانية فضلا عن القيم الأخلاقية والدلالية،مع إبراز خصائص ذلك المكان،والبلدان المجتازة أثناء السفر،وتحديد مظاهره الجغرافية والحضارية والمرافق المتوفّر عليها،ومن هنا كان المكان أو الفضاء (الحيز) بتعبير عبد الملك مرتاض «عالم دون حدود،وبحر دون ساحل،وليل دون صباح،ونهار دون مساء.انّه امتداد مستمر مفتوح على جميع المتَجَهات وفي كل الآفاق»[3]، كخضوع المكان للزمان. ويشمل الآتي:

أولا:العمارة المدنية

يعدّ وصف العمارة المدنية القاسم المشترك لأغلب الرّحالة،فقد اعتنت كتابات الرّحالة بالوصف الجغرافي والعمراني لكل مكان وصلوا إليه،وعاينوه بالمشاهدة ؛وفي الرحلة الجزائرية نجد الشيخ قد أعطى بعض الملامح من تلك البلدان التي مرّ بها من خلال الآتي:

ا-المدن والمباني:

سوق أهراس:التي قال في وصفها الشيخ :«تطوّفنا في أغلب مناهجها التّسعة؛وفسحنا الخاطر في بناءاتها المتناسقة،ولعدم كبر مساحتها يمكن الإحاطة بها في مدّة وجيزة»[4]،وهي دلالة على صغر حجمها، ورحب أزقّتها.

تبسّة*: لم يذكر فيها شيئا من مواصفاتها العمرانية سوى أنّه تدرّج في أنحائها،واستقصى غالبية مناهجها.

---

[1]-محمّد صالح الجابري:رحلات جزائرية،ص31.

[2]-عبد الرّحيم مودن:الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر،ص279.

[3]-عبد الملك مرتاض:في نظرية الرواية،مجلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت، ديسمبر1998م، ص135.

[4]-محمّد صالح الجابري:رحلات جزائرية،ص26.

باتنة:وكانت محطّ المبيت،ولم يلبث فيها إلا بضع ساعات، «تجوّل في غالب شوارعها، فإذا هي فسيحة العرض متناسقة البناء، منورة بالكهربائي»[1]،وهي ميزة على تحضرها وتمدّنها.

عاصمة الجزائر:وقد أعطى الشيخ عناية كبيرة لهذه المدينة،إذ يفرد لها وصفا دقيقا عند دخوله ليلا« فتراءت لنا مصابيح أنوارها بمنظر أنيق وأشكال متناسقة،وذلك لأنّ المدينة قائمة على أكمة مرتفعة،يبتدئ العمران من أعلاها ثمّ يمتد متدليا إلى شافة البحر،فيبصر الداخل عند استقبال شوارعها المنورّة ،وهي طبقات بعضها فوق بعض،رونقا جميلا»[2]،وهي بذلك مدينة ساحلية جميلة ومرتفعة عن سطح البحر.

ب–المكتبات:

لا تخلوا أي رحلة علمية من ذكر مكتبات المطالعة المتواجدة في البلاد التي زاروها،فوصفوها وقلّبوا رفوفها وتصفّحوا كتبها،ومن قبيل ذلك في رحلة الشيخ:

المكتبة العمومية بالجامع الأخضر(قسنطينة)،وتحتوي على عدد من الكتب المطبوعة المتداولة.

المكتبة العمومية(عاصمة الجزائر)،فيها عُدّة من الكتب الغريبة مثل:القبس على موطأ مالك بن أنس،ترتيب المسالك على موطّأ مالك،ويعرب هنا عن أسفه لعدم إتمامه مطالعة أنموذج الكتب بتمامه.

ثانيا:العمارة الدينية

لقد حظيت المساجد بحيز كبير من الوصف يناسب مكانته ومنزلته في نفوس المسلمين،كما هو الشأن المدارس القرآنية خصوصا في الرحلات الدينية والعلمية.

ا–المساجد و المدارس القرآنية:

أبرز خاصية تميز هذه الرحلة،وتلفت نظر القارئ إليها،اعتناء الشيخ "محمّد الخضر حسين" بوصف المساجد والمدارس القرآنية،فلم يقتصر وصفه للمسجد بذكر اسمه،أو حالته أثناء مشاهدته له،ولكن امتدّ ليشمل الناحية التاريخية له أحيانا،و أماكن حلقات العلم الأئمة فيه،وغيرها من الأمور المتعلّقة بالمسجد.

ذكر **مسجد بسوق أهراس**،كان محلّ طرح عدّة مسائل في العبادات وغيرها.

مسجد تبسة:عرض فيه مسألة تخص أمور التجارة.

مسجد عين البيضاء:مسجد يدرّس فيه الشيخ "أحمد بن ناجي"المختصر الخليلي.

مدرسة إسلامية بقسنطينة:لتخريج القضاة والعدول.

ثلاثة جوامع بقسنطينة:الجامع الكبير،الجامع الأخضر الذي ذكر تاريخ تأسيسه سنة1256هـ،وجامع سيدي الكتّاني ويحوي منبراً رخامياً مرقوما ببيت من الشعر يتضمّن اسم مؤسسه و تاريخ تأسيسه.

---

*–«تَبِسّةُ:بلد مشهور من أرض افريقية،...وهوبلد قديم به آثار الملوك،وقد خرّب أكثرها»ياقوت الحموي،معجم البلدان،دار صادر،ط2،بيروت، سنة1995م، ص13.

[1]– محمّد صالح الجابري:رحلات جزائرية،ص34.

[2]– نفسه،ص35.

المدرسة الثعالبية:وقد ذكر الشيخ أنّه تمّ بناؤها سنة1904م،واقتحمت باحتفال رسمي يوم الإثنين 17أكتوبر من نفس السنة،كما يورد هدفها في تعليم الوطنيين العلوم العقلية،والنقلية،وتخريج،وتكوين القضاة والعدول.

-الجامع الجديد(الجامع الصغير[1]:وهو المكان الذي وَجد فيه" المفتي بوقندوزة".

-الجامع الكبير[2]:والتقى فيه بالشيخ عبد الحليم بن سمّاية.

-مسجد سيدي محمّد الشريف[3]:أين شهد مجلس درس الشيخ "عبد القادر المجاوي" عن جوهرة التوحيد.

-جامع سيدي رمضان[4]:وشهد فيه مجلس ختم العالم الفاضل "الشيخ سعيد" لصغرى السنوسي.

-مسجد مصطفى بن الأكحل:شهد فيه ختم الشيخ "عبد الحليم سماية" لكتاب التوحيد.

ب-الأضرحة والمقابر:

تعتبر المقابر من السمات البارزة للمدن الإسلامية، واتخذت الأضرحة أشكالا عدّة بوجود القبب من فوقها،و بتواجدها داخل المساجد بالمدن الكبرى

ذكر الشيخ في رحلته زيارته للولي الصالح الشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي[5]،الموجود بالجزائر العاصمة.

كما وقف أمام ضريح الولي الشيخ سيدي محمّد بن عبد الرّحمان الأزهري[6]،في طريقه لمنزل الشيخ عبد الحليم بن سمّاية.

فنلاحظ اختصار المكان ،بحيث يتجاوز الشيخ جغرافيته المادية نحو الجغرافية الرّوحية،وترابية الأمكنة إذتعود على طبيعة المسافة القريبة و البعيدة،ثم الحرص على تقديم الأهم وبذلك جاءت الرّحلة موجزة معبّرة.

---

[1]--«مبنى عظيم يطل على البحر،ويراه القادم من بعيد،ويتربّع على مساحة قدرها1371.20م^2،وهو ذو شكل مستطيل»مصطفى بن حموش ترجمة وتعليقا،مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني،دار الأمة،الجزائر، سنة2010م ، ص60.

[2]--«مقر المفتي العام الذي يشغل في نفس الوقت منصب الإمام والخطيب يوم الجمعة،وكان مقرا للمجلس العلمي» مصطفى بن حموش:نفسه،ص49

[3]-«يضم زاوية مساحتها الكليةحوالي251م^2،تضم ساحة وغرفة مربّعة الشكل يتربّعها ضريح الولي المذكور،ومسجدا صغيرا» مصطفى بن حموش:نفسه،ص132.

[4]-«مسجد متميز من حيث موقعه وتاريخه،فهويقع بالمكان الذي أقيمت فيه القصبة القديمة التي أسسها البربر قبل وصول العثمانيين»، مصطفى بن حموش:نفسه،ص121.

[5]-«(785-875هـ/1384-1476م) ولد بالجزائر،تنتمي أسرته إلى قبيلة الثعالبية من العرب التي قطنت سهول متيجة،وهو من أشهر علماء الجزائر خلال القرن التاسع الهجري والخامس عشر الميلادي.»مسعود كواتي و محمّد الشريف سيدي موسى،أعلام مدينة الجزائر و متّيجة،دار الحضارة،ط1،الجزائر،سنة2007م،ص95.

[6]-«ت(1208هـ/1793م)ويعرف بالجرجري و الزواوي و بوقبرين من قبيلة آيث إسماعيل قشطولة،أسس بها زاويته المعروفة باسمه"الرحمانية" وانتشرت طريقته أنحاء الجزائر في القرن13هـ/19م»، أبو عمران الشيخ وآخرون:معجم مشاهير المغاربة، ص27.

خامسا:الوقف

ونقصد به أن الرّحالة أحيانا يقف أثناء رحلته ليعرض بعض المواقف، أو المسائل العارضة كالمسائل الفقهية، واللغوية ،والقرآنية مثلا ،أو ليصف مركبه ،كما هو الحال بالنسبة للرحلة التي بين أيدينا.

أولا:المسائل العلمية

كانت لثقافة الشيخ،ومعرفته بالعلوم القرآنية،و تشبّعه بالثقافة العربية الإسلامية،الأثر الكبير على كتاباته الشخصية، والتي برزت كذلك في رحلاته المتعدّدة،وهذا ما نجده من خلال طرحه للعديد من المسائل الدينية والدنيوية نذكر منها الآتي:

ا-المسائل الفقهية

1-هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يحلق رأسه أم لا؟ وما حكم عدم الحلق ؟

وكان الجواب أن «"الرسول صلى الله عليه وسلم "لم يحلق لغير نُسك ، فيحتمل أن يكون ترك الحلق من باب ترك الأخذ بالعُرف ، ...ويُحتمل أن يكون على وجه التشريع فيكون سنّة ، وكان "علي ابن أبي طالب" رضي الله عنه يحلق رأسه ،قال" ابن عبد البرّ":وقد أجمع العلماء على جس الشعر وعلى إباحة الحلق»[1]،ومن ذلك كله فقد أورد الشيخ أنّه لا تثريب على من ترك حلق رأسه بقصد التأسي بالنبي الكريم،والصّحابة، والسلف الصالح.

2-ما تقولون في رجل اقترض مالا من عند آخر، واشترى به أشياء تجب فيها الزّكاة فيما اشتراه بمال القرض إن مرّ عليه الحول أولا تجب لأنّه مدين ؟

فكان الجواب : كما ذكر الإمام مالك في موطئه ، عن زَيدِ بْن أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، أنّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:«لاَ تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغنيٍّ ،إلاَّ لِخَمسَةٍ : لِغَازٍ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَوْ لِعَامِلٍ عَلَيهَا ، أَو لِغَارِمٍ ، أَوْ لِرَجُلٍ اشْتَرَاهَا بِمَالِهِ ، أَوْ لِرَجُلٍ لَهُ جَارٌ مِسكِينٌ ، فَتُصِدِّقَ عَلَى مِسكِينٍ ، فَأَهْدَى المِسكِينُ لِلْغَنِيّ »[2]،أي أن المدين لا تجب عليه الزكاة إذا كان لا يستطيع تسديد دينه ، أما إذا كان مالكا لما يجعله يدفع الدين فلا تسقط الزكاةعنه.

3-العمل بقواعد الحساب في الصوم،و إمامة الصائم في صلاة العيد؟احتج الشيخ بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :«فَإِنْ غُمَّ عَلَيكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ ثَّلاَثِينَ »[3]، أي تقدير الحساب بصيام ثلاثين يوما كاملة.

ومن خلال ما سبق يتضح لقارئ الرحلة مدى تضلع الشيخ في العلوم الشرعية،واطلاعه على مختلف المذاهب الإسلامية، لا سيما المذهب المالكي، ومدى درايته بالحديث النبوي الشريف،ودقة الاستشهاد بالنصوص

---

[1]- الإمام القرطبي من تفسيره ، جامع الأحكام الفقهية، جمع وتصنيف: فريد عبد العزيز الجندي،ط1ج1 ،دار الكتب العلمية ، بيروت سنة 1414ه ،1994م،ص38.

[2]- مالك ابن أنس ، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي،ط1،ج1مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان.أبو ظبي سنة 1425ه/2004م، ص378.

[3]- أبو داوود سليمان السّجستاني، سنن أبي داود، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد،ح2320،ج2،المكتبة العصرية،صيدا، دت،ص267.

الشرعية ، ووقوفه عند الدليل المستمد من كتاب الله وسنة رسوله الكريم ، ومصادر الشريعة الإسلامية الأساسية ، وأسرار ومقاصد الشريعة الغراء ، كما يظهر للقارئ مدى سماحته وعدم تعصبه للآراء .

ب–المسائل القرآنية

وهي المسائل التي تعتني بالجانب التفسيري للآيات القرآنية، والجمع بين الآيات الكريمة المتباينة المعنى.

1–﴿وَمَا كَانَ المؤمِنُونَ لِينفِرُوا كَافّةً ﴾[1]، وهي موضوع مسامرة علّق عليها الشيخ ما حضره في فضل العلم والتعليم ، «فالجهاد وإن كان عظيم الأهمية ، والتخلّف عنه ذنب وعار، إلاّ أنّه في غير الحالات الضرورية لا لزوم لتوجه المؤمنين كافة إلى ساحات الجهاد ،خاصة في الموارد التي يبقى فيها النبي صلّى الله عليه وسلم في المدينة، بل يبقى منهم جماعة لتعلم أحكام الدين ويتوجه الباقون إلى الجهاد»[2].

2–﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ ءَايَةٍ﴾[3] يقول الخازن :« فبين بهذه الآية وجه الحكمة في النسخ وأنه من عنده لا من عند محمد صلّى الله عليه وسلّم. وأصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب، وهو أن ينقل من كتاب إلى كتاب آخر كذلك لا يقتضي إزالة الصورة الأولى بل يقتضي إثبات مثله في كتاب آخر، فعلى هذا المعنى يكون القرآن كله منسوخا، وذلك أنه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا، ويكون النسخ بمعنى الرفع والإزالة وهو إزالة شيء بشيء يعقبه كنسخ الشمس الظل، والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا، وهو المراد من حكم هذه الآية وهو إزالة الحكم بحكم يعقبه.»[4]، حيث سمع شيخنا قراءة الآية من الشيخ "حمدان بن الونيسي" بهذا التفسير.

3–الجمع بين قوله تعالى﴿واتّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الذِّينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾[5]وبين قوله تعالى:﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزرَ أُخرَى﴾[6]

فالأولى« ﴿ واتّقُوا فِتْنَةً ﴾إن أصابتكم﴿ لَا تُصِيبَنَّ الذِّينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾بل تعمّهم وغيرهم واتقاؤهم بإنكار موجبها من المنكر»[7] ،أما الثانية «لا تحمل نفس آثمة وزر نفس أخرى»[8].

---

[1]– التوبة:122

[2]– ناصر مكارم الشيرازي ،الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ،ج6،ط2 ، دار إحياء التراث العربي، بيروت سنة1426هـ–2005م ص184.

[3]– البقرة:106.

[4]– علاء الدين علي أبو الحسن المعروف بالخازن، ، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين،ج1، ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،سنة1415هـ،ص68.

[5]– الأنفال: 25.

[6]– الأنعام :164، الإسراء 15، فاطر 18، الزمر 7 ، النجم 38.

[7]– جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ط1 ج1،دار الحديث ،القاهرة ، ص231.

[8]–نفسه: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين السيوطي،ص192.

وعليه قال الشيخ : إنما يستحق العقوبة صاحب الذنب إلاّ أنّ الله عزّ وجل فرض على كل مسلم رأى منكرا أن يغيّره ، ويستشهد في ذلك بالقرآن وبقول الصحابي الجليل"عمر بن الخطاب" .

4- تفسير قوله تعالى :﴿ شَهرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ القُرآنُ ﴾[1]، حيث استدلّ الشيخ فيه بقول "ابن إسحاق" :«فابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل في شهر رمضان »[2].

5-لاحظ الشيخ، أنّ الشيخ "علي الدين بن الحاج موسى" ، خالف الرواية المشهورة وهي عدم تأمين الإمام في الجهر ،إذ يقول :«سمعته يجهر بالتأمين بعد الفاتحة في الصلاة »؛أي قوله آمين بصوت مجهور، وذلك لأنّ الشيخ يختار رواية المدنيين .

ج- المسائل اللغوية والنقدية

ونذكر منها المسائل المتعلقة بالمفاهيم المعجمية .

1-لفظ منطاد وعرّفه الشيخ «الآلة التي تطير في الهواء المسماة بالبالون»[3]،ويذكر "الفيروز آبادي" أن «الإنطياد هو الذّهابُ في الهواءِ صُعُداً ،وبناءٌ مُنطادٌ :مرتفعٌ»[4].

2-مفهوم المدرّس،ودوره الذي يتعدى إلقائه المسائل المتاحة له إلى التمييز بينها ،وعرضها على محك النقد مثل «الإستخدام في باب البيان» :

«الاستخدام إطلاق لفظ مشترك بين معنين ،فتريد بذلك اللّفظ أحد المعنيين ، ثم تعيد عليه ضميراً تريد به المعنى الآخر، أو أنّك تأتي لفظ يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر المعنى الآخر »[5] ،مثل قوله تعالى ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُوا اللهُ مَا يَشاءُ وَيُثْبِتُ﴾[6] فإن لفظ كتاب يحتمل أن يراد بها الأجل المختوم والكتاب المكتوب .

ثم نقد نص الشهاب الخفاجي في حواشي البيضاوي ، الذي خصّ الاستخدام بالضمير فقط ،بل أضاف الشيخ عن ذلك كونه يكون بغيره كالاستثناء والتمييز ، والعطف وأورد لذلك أمثلة من القرآن ، ومن نسجه الخاص .

---

[1]- البقرة 185.

[2]- محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، تحقيق:سهيل زكار، سيرة ابن إسحاق(كتاب السير والمغازي)،ط1، دار الفكر، بيروت 1398هـ/1978م،ص130.

[3]-محمّد صالح الجابري:رحلات جزائرية،ص28.

[4]- الفيروز آبادي، القاموس المحيط،مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ، ط8، ج1،سنة 1426هـ-2005م ص296.

[5]- ابن حجّة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأدب،تحقيق:عصام شقيو، ج2،دار ومكتبة الهلال،سنة2004م، ص119،120،.

[6]- الرعد:38، 39.

3-لفظ مجلّة حيث وضّح معناه اللّغوي، مستنداً في ذلك على القاموس فقال:«وَالمجلّة بالفتح : الصّحِيفةُ فيهَا الحِكمةُ ، وكُلُّ كتابٍ»[1].

4-الفرق بين لفظ العرب، والأعراب[2]، واستند إلى قول الشيخ المطرزي في المصباح، ونعرض ما قاله الشيخ المطرزي لكن من خلال كتابه المغرب في مادة (ع ر ب) فقال :«العربيُّ واحِدُ العَرَبِ وَهُمْ الذِينَ اسْتَوطَنُوا المدُنَ والقُرَى العَربية،(والأعرابُ) أهلُ البَدْوِ واخْتُلِفَ فِي نِسبَتِهِم»[3].

وهذا ما حدّث به الشيخ مصطفى في درسه ،و أضاف قول الأزهري:«فمن نزل البَادِيةَ أو جاور البادين وظَعَنَ بِظَعْنِهِمْ وانتوى بانتوائهم فهم أعْراب ، وَمَنْ نزل بِلَاد الرِّيف واستوطَنَ المدن والقُرَى العربية وغيرِهَا مِمَّا ينتمي إلى الغرب فهم عرب وإن لم يَكُونُوا فُصحاء »[4]

وبناءا على قول الشيخ "المطرزي" و"الأزهري" أن العرب هم الذين استوطنوا المدن والقرى العربية ، بينما الأعراب أهل البادية .

د-:تفسير الحديث:

1-ورد ذكر حديث «سَبعَةٌ يُظِلُّهُم اللهُ يَومَ لَا ظِلَّ إلَّا ظِلّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ،...وَ رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ...»[5] وهنا أملى الشيخ بعض ما عهده في شرحه.

2-«الدِّينُ النَّصِيحَةُ قالوا : لِمَن؟ قَالَ: للهِ ولرسولهِ وأئمةِ المسْلِمِينَ وعامّتِهِمْ »[6] ،وكان الحديث حديث الشيخ في جامع الشريف في ليلة من الليالي .

ثانيا:وصف حلقات الدرس

حيث اهتم اهتماما كبيرا بوضعية المشايخ خلال الدرس ، وكذا وصف حلقاته :

- ترحيب الشيوخ به وحسن الضيافة ،وهي سمة أهل الكرم والجود.
- التأدب في وضعية الجلوس واكرامه بجلوسه يمين الشيوخ.
- وصفه لحلقات الدرس «طريقة مقتصدة خالية من التطويل بعيدة عن الاختصار»[7]

---

[1]- الفيروز آبادي:القاموس ،ص979.

[2]-محمّد صالح الجابري:رحلات جزائرية،ص48.

[3]- برهان الدين الخوارزمي المطَرّزي ، ج1 ، ط1 ، دار الكتاب العربي، المغرب، ص308.

[4]-محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة،تحقيق: محمد عوض مرعب، ج2 ،ط1 ،بدار إحياء التراث العربي بيروت، سنة2001ص218.

[5]- النسائي، السنن الصغرى للنسائي،تحقيق:عبد الفتاح أبو غدة ، ، ج8.مكتب المطبوعات الإسلامية ط 2، حلب ، سنة 1406هـ/1986م ،ص222.

[6]- الشيخ عبد الرحمن السخاوي ، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحداث المشتهرة على الألسنة ، تحقيق ودراسة: محمد عثمان الخث ، ح500،ط1،دار الكتاب العربي ،بيروت 1405هـ/1985م،ص335.

[7]- محمد صالح الجابري:رحلات جزائرية، ص28.

- استعمال الحوار في سياق النص ،على شكل سؤال وجواب :«قلت له: هل لكم درس في هاته الساعة . فقال : نعم درس في التوحيد ، ولكن نريد أن نعوضه بمسامرة علمية معكم»[1]
- وصف لهيئة الدرس والجلوس له:

وقد تعدد وصفه الدقيق بدلالات هندسية في قوله :

استدارت الجماعة ، جماعة مستديرة في جانب من الجامع ، جماعة جالسين على شكل نصف، دائرة الطلبة على شكل دائرة ، وهي وضعيات مختلفة توحي بآداب الإصغاء ، والاستماع للشيخ من جهة ، وإعطائهم للعلم مكانة في قلوبهم.

- ولم يقتصر الشيخ هنا على وصف الدرس وحلقاته، بل يورد كذلك بعض الأخطاء التي وقع فيها وعدّها من أساليب التدريس الخاطئة، وهي الاستشهاد بشطر بيت من الفية ابن مالك ، أثناء الدّرس ، فقال :«أدركت أنّها طريقة منحرفة المزاج ، عقيمة عن الإنتاج ، ونرجو أن تكون توبتنا من سلوكها توبة نصوحا»[2].

ثالثا:وصف المركب

لقد اعتنى الرّحالة بتدوين جميع جوانب الرّحلة ، وذكر مسارها وكذلك وصف طريقها ووسيلة السفر فيها ، فمعروف عن الرحلات البحرية استعمال السفن ، والمراكب الشراعية ، والزوارق المائية ...ونحو ذلك ، أما الرحلات الجوية فتكون غالبا باستعمال الطائرة، وأخيرا الرحلات البرية التي تعد الأكثر شيوعا والأقدم على الإطلاق ، مثل استعمال السيارات، أو الدراجات، أو حتى تسخير بعض البهائم كالحمار والحصان والجمل...

وعن هذه الرّحلة يتطرق الشيخ الى الحديث عن الرحلة البرّية واصفا كل مرّة وسيلة النقل فيها، ويذكر سبب اختياره للبر دون غيره فقال:«لأنه أجمل منظرا وأقل خطرا »[3].

1-القطار : عبر الرحلة إلى سوق أهراس، حيث ذكر سيره إلى محطته في سوق أهراس ،وكذا رحلته إلى تبسة ، ومن باتنة إلى العاصمة كذلك.

2-العربة التقليدية التي تجرها أربعة جياد.

3-الرّتل: وهو نفسه القطار ، إلاّ أن هذه الكلمة تدل على شيء من الخفة ، ذلك أن الرتل الخفيف يسمى المترو.

4- السيارة الكهرربائية: وهي القطار الكهربائي و لعلّه قصد بها الترمواي ، فقد كان موجودا في عهد الاستعمار يخدم الجزائر العاصمة وضواحيها.

---

[1]- محمد صالح الجابري،ص26.27.

[2]- نفسه:محمد صالح الجابري،ص40.

[3]- نفسه:محمد صالح الجابري ،ص26.

سادسا:معجم الرحلة الجزائرية

لا ريب وأن لكل نص أدبي معجم خاص به ،كما هو الحال بالنسبة لأدب الرحلات ، الذي يمتلك خصوصية تركيبية ودلالية ، تستند إلى مكون السفر المركزي في البناء الرحلي –السفر- يأخذ أبعاده المميزة من المتن أو المضمون الشامل لنص الرحلة عامة، والمعجم خاصة .

1.**الرحلة الجزائرية والسفر** :

تقوم الرحلة الجزائرية على معجم السفر المجسد على أرض الواقع "المملكة الجزائرية " فتحولت مفردة "السفر" إلى مرادفات غنية أثرت المعجم اللغوي من جهة ، ومعجم الارتحال أو الرحلة من جهة ثانية ، ومن أهم هذه المرادفات نذكر التالي:

- السياحة: التجوال في الأرض (سياحة).
- الظعن: الرحلة.
- الحركة :ضد الثبات(تحرك).
- يخب ويضع ويحمل ويضع: وهي صفات القطار المتحرك.
- السير ،المسير دلالة على طول المسافة .
- الطي ، يطوي دلالة على السرعة والانتقال.
- الإياب : طريق العودة .
- الطواف (تطوفنا): الدوران .
- الانصراف، الوداع.

2-البنية اللغوية (الرحلة الجزائرية واللغة) :

حري بنا قبل أن نتطرق للحديث عن لغة الرحلة،لابدّ لنا أن ندرك أن «الرّحلة نص مهجّن التفّت فيها الأصوات،واللغات،وتحاورت عبر مستوياتها المرويات،والخطابات»[1]،فتداخلت فيها النصوص الجغرافية،والتاريخية، واللغوية،والأدبية،والدينية...وهلم جرا،من النصوص الغائبة التي تحضر في هذا الخطاب التفاعلي السّردي.

وفي هذا المقام نميّز بين عنصرين في البنية اللغوية للرحلة وهما: مقدمات الرحلات ، ووصف الأسفار نفسها.

أ.**مقدمات الرحلة** : تتميز معظم مقدمات الرحلات «بلغة تتعمد التأنق وتتزين بالحلى الأسلوبية التي عرفتها عصورها ، ومن ثمّ نجد السجع يتسرب إليها منذ وقت مبكر ،حتى لدى معارضيها »[2]،فنجد الشيخ الرحالة قد أورد بعض المحسنات البديعية في مقدمته مثلا الطباق : العيان# البيان، الخيال# العقل.

فضلا عن الجناس المتناص في قوله:«قبضت قبضة من آثار سفرنا ونبذتها» مع قوله تعالى:﴿فَقَبَضْتُ قَبضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾[1]،وهي دلالة على الجمع أولا ثمّ تقييد ذلك الجمع في شيء معيّن كالمجلّة.

---

[1]-عبد الرّحيم مودن،أدبية الرحلة،دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء،ط1،سنة1996م،ص6.

[2]- حسين نصار:أدب الرحلة ،ص126.

ب–وصف الأسفار: فتظهر التجربة الإنسانية لشخص الرحالة واضحة ،مارس فيها لغة العقل، والمحاججة قبل غيرها ، ولعل هذا يفسر انتشار الكم الفقهي، والشرعي داخل بنية النص.

إلا أن ذلك لم يمنع من صياغة اللغة صياغة بسيطة سهلة في متناول الجميع،مع إضافة الشواهد القرآنية وبعض الأحاديث النبوية ، وكذا المسائل الفقهية واللغوية ، التي تفصح عن أسلوب صاحبها كعالم ديني .

1–فنذكر من المعجم المفرداتي التناص القرآني في قوله :«سنة من النوم»[2]،مع قوله تعالى:﴿لاَ تَأخُذهُ سُنّةٌ وَ لَا نَوْمٌ﴾[3] .

«اتخذت سبيلي في البحر»[4] مع قوله تعالى:﴿وَ اتّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَبًا ﴾[5].

2–كما نلمس عناصر كتابة متميزة يتداخل فيها الشعري بالنثري، فمن شعره ما أنشده ، عندما وقف موقف وداع جماعة من الفضلاء :

لَا تَأْسَ يَا قَلْبُ مِنْ وَدَاعٍ فَإنّ قَلبَ الوَدَاعِ عَادَا[6]

ذلك لأن الشعر في الرحلة تأكيد للكلام، وإيضاح للمعاني.

3–الشبكة الضمائرية:

لازم الشيخ ضمير المتكلم "نحن" المعبر عن ذاته "أنا"، فحول المفرد جمعا، بغية منه في التعظيم لذاته في قوله: «استقر بنا ، سفرنا ، تطوفنا ، تجاذبنا ،فوصلناها...»،ومنه نلاحظ المزج بين ضمير المتكلّم وضمير الجمع،أو بتعبير آخر المزج بين التجربة الشخصية والتجربة الجماعية.

4–غلبت المشاعر الفياضة على الشيخ، في حين التقائه بعالم أو شيخ أو أهل العلم كافة فتراه يطرب فرحا ويصف شعوره فيقول :« استنارت صدورنا تأنسا ، غمرنا بنفحات خلقه الناضر ، بقيت النفس متشرفة »، وهي مشاعر صادقة تنبع من فؤاد رجل يعرف قيمة العلم وفضله.

4–انتشار أسلوب الاستطراد ، والإطناب ، والذين برز عند الشيخ في محاولاته سرد ما يشاهده وما يقع تحت نظره ، خاصة في وصفه لجلسات الطلبة حول الشيخ أثناء الدرس ، وكذا عرضه لمسائل فقهية ودينية برزت فيها النزعة التعليمية ، التي تتركب بصورة لافتة يستدعي فيها معارفه ومكتسباته القبلية والآنية (خلال الرحلة).

5–اعتماد حروف الجر الموجهة لمسار الرحلة، و المتحكمة في الذهاب والإياب نحو:من ،إلى ،نحو ،في.

---

[1]– طه:96

[2]– رحلات جزائرية:محمّد صالح الجابري، ص 30.

[3]– البقرة 255.

[4]– رحلات جزائرية:محمّد صالح الجابري،ص 26.

[5]–الكهف61

[6]– رحلات جزائرية:محمّد صالح الجابري ،ص35(البحر: مخلع البسيط).

6-المظهر الحكائي:ونقصد به الجمع بين التعليمة و الحكاية،فنلاحظ في الرّحلة أسلوبا تعليميا نستشعره من خلال المسائل العلمية الواردة ،و حكاية سردية مشوّقة تعرض مجريات الرّحلة و أخبارها في آن واحد؛أي المزج بين الوصف و السّرد،وبين الحكي و التشخيص،وبين الرّصد و النقد.

7-الأسلوب المباشر الذي برز من خلال محاكاة المرئي قبل المحكي عنه،في مواطن متعدّدة من هذه الرّحلة؛بدءً بوصفه لهيئة الشيوخ و المدرّسين كالشيخ علي بن الحاج موسى، الذي قال عنه أنه«محفوف بسكينة ووقار..،ومما يدل على صلاح حال هذا الرجل وصفاء سريرته ،أنه ما جرى ذكر النبي على لسانه إلاّ ارتعد صوته وفاضت دموعه »[1]،ثم يسترسل محكي رحلته،وأحداثها.

8-الوصف التاريخي،الذي يسبق غالبا كل سرد للمكان؛كما هو الحال في وصف مدينة قسنطينة،واستطلاع معالمها الدينية والمدنية.

9-الأسلوب المقارن بين الفضاء الرّحلي :كإظهار الفروق الثقافية والعلمية،كمنفوضة الجراب-في حديثه عن تبسة-و وافينا المسجد فوجدناه غاصا بتلامذة ذلك المدرس.

10-الوسيط المرجعي(حوارية النص):من خلال التصريح بالمصادر و المراجع المعتمدة في تكوين نص الرحلة،والاستشهاد بالنصوص الدينية واللغوية نحو: المعاجم كالقاموس المحيط،وموطأ الإمام مالك ،وتفسير الخازن.

وعموما نخلص أن لغة هذه الرحلة هي لغة تواصلية تستخدم أنظمة متعددة لتقديم صورتين صورة مكتوبة،وأخرى مسموعة ،واصفة نسجت بأسلوب العلماء ، تمتاز بالبساطة والسهولة أحيانا ،وبالإيحاء تارة أخرى – السهل الممتنع – ،نقلت لنا تجربة الرحلة عند الشيخ الخضر حسين ، بأسلوب دقيق وشامل ، يحسسنا كقراء بالحياة التي تشع في صفحات هذه الرحلة .

[1]-رحلات جزائرية:محمّد صالح الجابري،ص37.

خاتمة

لقد عاش الرّحالة و المغامرون،وعشنا نحن معهم على أصداء وقع تجربتهم الأدبية ، فكانت وجهتنا لذلك أن نكشف الستار عن هذا الأدب،الذي يمتاز بغناء مادّته المكتبية من جهة،ومن جهة أخرى افتقاره إلى الدراسات البنيوية التحليلية لخطاب أو نص الرحلة ،وكذا تأثيرها على المتلقي أو القارئ على الرّصيد اللغوي والفكري (الإيديولوجي) و السوسيوثقافي والديني،وبناءً على ذلك يمكن للدراسات المستقبلية فتح باب هذه الدراسات المغمورة ،والكشف عن نقابها.

وبعد فإن أدب الرحلة أدب ممتع وشيّق يشمل فنونا و أغراضا شتّى،وفيه كنوز معرفية غزيرة تهم جميع الدّارسين و القرّاء بشكل عام ،وفي هذا الصّدد حاولنا جاهدين من خلال هذا البحث إبراز حيثيات أدب الرحلة بشكل عام ،والكشف عن نظرة الشيخ محمّد الخضر حسين إلى هذا الجنس الأدبي، والكشف عن كيفية معالجته له، وفق آليته الإجرائية التي رآها مناسبة لإبراز معالم رحلته إلى الديار الجزائرية .

ولقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج ،نجملها في النقاط التالية:

1. ثراء مفهوم الرحلة من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، وفق المصادر والمراجع التي حاولت أن تُكسب هذا المفهوم زخما لغويا، انعكس على مفهومه الاصطلاحي الخصب.
2. تقنيته الخاصة التي تنبع من خصوصيات هذا الشكل الأدبي الذي هو غاية الإثارة والأهمية.
3. يزخر نص الرحلة بطابع معرفي كثيف و متكاثر، حيث يجمع بين أحضانه كما هائلا من المعارف، والموضوعات العلمية، الواقعة في البيئة الثقافية والحضارية التي انبثق عنها.
4. تبرز نصوص الرحلة إلى معارف جغرافية، وجيولوجية،في الإطار الزمني والمكاني الذي تعالجه الرحلة، مما يؤهّلها لأن تسدّ الفراغ الذي يسعى لملئه المهتمون بالحقائق الجغرافية القديمة. وتشكل همزة وصل تربط تلك الأحداث والتواريخ والحقب الزمنية الغابرة.
5. يعد أدب الرحلة أهم منبع لتوصيل أو رصد الواقع الأنثروبولوجي للمجتمعات والحضارات .
6. شكلت الرحلة انفتاحا وانطلاقا في المعرفة عن الآخر،حيث اتخذت من التجربة المباشرة أساسا لوصفها،وهذا ما لمسَته الدراسة من خلال نماذج الرحلات التي أشارت إليها،ويمكن الرّجوع إلى المقدمات التمهيدية التي كتبها هؤلاء الرحالة في بداية نصوصهم
7. يشير نص رحلة المسلمين إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وتعاليم الدين التي حثت على الخروج في سبيل الله وسير في الأرض للاكتشاف والبحث في تاريخ الحضارات وهذا ما يلحظه القارئ في الآية ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾-يونس:101
8. تجذَر أدب الرحلة عند العرب والمسلمين منذ بزوغ فجر الإسلام لأهداف متعددة.
9. تعتبر الرحلة الجزائرية وثيقة تاريخية هامة صالحة لكل زمان ومكان ومصدرا من مصادر المادة العلمية والأدبية التي تبرز جوانب عديدة من الحياة العامة للجزائريين إبّان الاحتلال الفرنسي.

10. يثير نص الشيخ الخضر حسين مجموعة من الإشكاليات المعرفية تخص رسم العوالم الفكرية والثقافية والدينية للمذهب المالكي،و توجيه الفتاوى،و عرضها على محك النقد المنهجي الإسلامي الشرعي،بصورة مبسّطة خالية من التعصّب و التعقيد.

11. اهتمّت الرحلة الجزائرية بتتبع المراكز الثقافية كالمساجد والمكتبات،والمدارس القرآنية ،وتقديم تقرير حول حالتها العلمية والثقافية.

12. امتلاك الشيخ الخضر حسين لتقنيات أدب مميزة تنطوي على زخم كبير من الظواهر الخطابية التي يمكن مقاربتها من زوايا مختلفة ، ولعل أهمها عرضه للكثير من المسائل الفقهية والدينية و اللغوية.

وأخيرا يمكن القول أن العلاقة بين أدب الرحلة ومحمد الخضر حسين كانت علاقة تشابك وتلاحم تمازجت أطرافهما حتى صقلت التجربة الأدبية

ويبقى الكمال لله وحده جلا وعلا وما توفيقنا إلا بالله والحمد لله .

مسرد المصادر

و المراجع

.

*القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ا–المصادر والمراجع:

1. أبو داوود سليمان السّجستاني، سنن أبي داود، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد،ح2320، المكتبة العصرية، صيدا، دت.
2. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق :محمّد محيي الدين عبد الحميد، ،ط5، دار الجيل، سنة1401ه/1981م.
3. أبو القاسم سعد الله،في الجدل الثقافي،دار المعارف للطباعة والنشر،سوسة–تونس،سنة1993م.
4. أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت، سنة1998م،
5. أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب و الرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،سنة1983م.
6. ابن بطوطة ،رحلة ابن بطوطة،منتدى مكتبة الإسكندرية،دار صادر ،بيروت،سنة1412ه–1999م.
7. ابن حجّة الحموي، تحقيق:عصام شقيو،خزانة الأدب وغاية الأدب،ج2،دار ومكتبة الهلال،سنة2004م.
8. ابن فضلان،رسالة ابن فضلان، تحقيق: سامي الدّهان،دط،مطبوعات المجمّع العلمي العربي،دمشق،دت.
9. أحمد أبا الصافي جعفري،الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7ه حتى نهاية القرن 13ه،ج2،ط1،منشورات الحضارة، سنة2009م.
10. أحمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، منشورات دار الشرق الجديد ،بيروت ،ديسمبر1961م
11. أحمد حسن الزيات،تاريخ الأدب العربي،دار النهضة مصر للطباعة والنشر،القاهرة،دت،
12. أنيسة بركات،محاضرات و دراسات تاريخية و أدبية حول الجزائر،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،سنة1995م.
13. برهان الدين الخوارزمي المطَرّزي، ط1 ، دار الكتاب العربي، المغرب.
14. جورج غريب،أدب الرحلة وتاريخه وأعلامه،ط3،دار الثقافة،بيروت،سنة1979م.
15. جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، ط1،دار الحديث ،القاهرة ،
16. حسين مؤنس،ابن بطوطة ورحلاته،دط،دار المعارف،القاهرة،دت
17. حسين نصار:أدب الرحلة، إشراف: محمود علي مكي، ،ط1،دار نوبار للطباعة،القاهرة،سنة1991م
18. حسني محمود حسين،أدب الرحلة عند العرب،ط2،دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،سنة1403ه–1983م.
19. يحي بن بهون حاج أمحمّد،من الرّحلات الحجازية لعلماء المغرب الإسلامي :رحلة الوارجلاني ،الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر، سنة2007م

20. مالك ابن أنس ، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي،ط1، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان.أبو ظبي سنة 1425هـ/2004م

21. مولاي بالحميسي،الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،دط،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، سنة1979م

22. محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء ، تحقيق:سهيل زكار، سيرة ابن إسحاق(كتاب السير والمغازي)،ط1، دار الفكر، بيروت 1398هـ/1978م،ص130.

23. محمد مصايف،النثر الجزائري الحديث،دط،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،سنة1983م.

24. محمّد الصالح،من وحي الرحلة،دط،دار الحضارة للطباعة والنشر و التوزيع،سنة2007م.

25. محمد عبد المنعم خفاجي: الأزهر خلال ألف عام،ط2،عالم الكتب،بيروت،سنة1408هـ/1988م

26. محمّد علي باشا، تحرير:علي أحمد كنعان،الرحلة الشامية،سيكو للطباعة والنشر،ط1،بيروت،سنة2002م

27. محمد الخضر حسين، الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده أسباب ظهوره علاجه، ط1،مكتبة ابن تيمية ،الكويت،سنة 1406هـ/1986م.

28. محمّد الخضر حسين، الدعوة إلى الإصلاح، تحقيق :علي حسن علي ،ط1،دار الراية للنشر و التوزيع،الرياض، سنة1417هـ،.

29. محمد الخضر حسين،دراسات في العربية وتاريخها،ط2،المكتب الإسلامي للطباعة و النشر،دمشق،سنة 1380هـ /1960م.

30. محمد الخضر حسين ، الحرية في الإسلام ،دار الاعتصام،دت محمد الخضر حسين،نقض كتاب الإسلام و أصول الحكم،المطبعة السلفية ومكتبتها،القاهرة،سنة1344هـ.

31. محمد الخضر حسين،نقض كتاب في الشعر الجاهلي،المكتبة الأزهرية للتراث،القاهرة،دت.

32. محمد الخضر حسين، في التنوير الإسلامي« الشريعة الإسلامية»، تقديم وتعليق: محمد عمارة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،سنة1999

33. محمد الخضر حسين، القياس في اللغة العربية،المطبعة السلفية ومكتبتها،القاهرة،12جمادى الأولى1398هـ

34. محمد الخضر حسين،الخيال في الشعر العربي،دط،المطبعة الرحمانية،دمشق،شعبان1340هـ/ابريل1922م.

35. ناصر مكارم الشيرازي ،الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،ط2 ، دار إحياء التراث العربي، بيروت سنة1426هـ-2005م .

36. النسائي، السنن الصغرى للنسائي،تحقيق:عبد الفتاح أبو غدة ،مكتب المطبوعات الإسلامية ط 2، حلب ، سنة 1406هـ/1986م .

37. عبد الحميد ابن باديس،آثار ابن باديس،تحقيق: عمار طالبي، ،ط1،دار ومكتبة الشركة الجزائرية،الجزائر، سنة1388هـ-1968م

38. عبد الله بن محمد العياشي ، الرحلة العياشية ،تحقيق : سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،ط1،دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، سنة2006م
39. عبد الله كروم،الرحلات بإقليم توات،بابا حسان،الجزائر،سنة2007
40. عبد الله الركيبي،تطور النثر الجزائري الحديث،دط،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع،سنة2009م.
41. عبد الرزاق بن حمادوش، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسمّاة"لسان المقال في النّبإ عن النسب و الحسب والحال، تحقيق :أبو القاسم سعد الله، ،الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر ،سنة2007م
42. عبد الرّحيم مودن،أدبية الرحلة،دار الثقافة للنشر والتوزيع،الدار البيضاء،ط1،سنة1996م.
43. عبد الرّحيم مودن،الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر،ط1،دار السويدي للنشروالتوزيع،أبوظبي،سنة2006م
44. عبد الرّحيم مودن،الرحلة في الأدب المغربي.دط،أفريقا الشرق،المغرب،سنة2006
45. عبد الرحمن الجيلالي،تاريخ الجزائر العام،ط4،دار الثقافة،بيروت،سنة1400هـ/1980م.
46. عبد الرحمن السخاوي ، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحداث المشتهرة على الألسنة،تحقيق ودراسة:محمد عثمان الخث ، ح500،ط1،دار الكتاب العربي ،بيروت 1405هـ/1985م
47. عواطف محمد يوسف نواب،الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع و الثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية،الرياض،سنة1417هـ-1996م
48. علاء الدين علي أبو الحسن المعروف بالخازن، ، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،سنة1415هـ.
49. عمار هلال، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية فيما بين القرنين التاسع والعشرين الميلاديين 1413هـ ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر سنة1995.
50. عمر بن قينة،اتجاهات الرحّالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،سنة1995م.
51. عمر بن قينة،رحلات ورحالون في النثر العربي الجزائري الحديث،ط2،دار الأمة،الجزائر،سنة2009م.
52. عمر الدسوقي،في الأدب الحديث،ج1،ط8،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،دت،
53. فؤاد قنديل :أدب الرحلة في التراث العربي، ،ط2،مكتبة الدار العربية للكتاب،القاهرة،سنة1423هـ-جويلية2002 م
54. القرطبي من تفسيره، فريد عبد العزيز الجندي جمعا وتصنيفا، جامع الأحكام الفقهية،ط1،دار الكتب العلمية ، بيروت سنة 1414هـ ،1994م
55. سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري،دط،دار الهدى،الجزائر،سنة 2009م

56. شوقي ضيف،الرحلات،ط4،دار المعارف،القاهرة،دت.
57. شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي(8)"عصر الدول والإمارات الأندلس"،ط2،دار المعارف،القاهرة،دت.

ب–المعاجم و القواميس:

58. أبو عمران الشيخ وآخرون،معجم مشاهير المغاربة،منشورات دحلب،الجزائر،سنة2007م
59. ابن منظور،لسان العرب،دار بيروت للطباعة و النشر،بيروت،دت.
60. ابن فارس،معجم مقاييس اللغة،تحقيق: عبد السلام هارون،ط1،دار الجيل،بيروت،سنة1411هـ-1991م
61. إبراهيم مصطفى وآخرون،المعجم الوسيط،تحقيق: مجمع اللغة العربية،دار الدعوة،دت.
62. أحمد مختار عمر وآخرون،معجم اللغة العربية المعاصرة،ط1،عالم الكتب،القاهرة،سنة1429هـ-2008م
63. أحمد تيمور باشا،أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث،دار الأفاق العربية، القاهرة، سنة1423هـ/2003م
64. إلياس سركيس،معجم المطبوعات العربية و المعربة،منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي،القاهرة، سنة 1928 م.
65. جبور عبد النور،المعجم الأدبي،ط1،دار العلم للملايين،بيروت،سنة1979م.
66. الزبيدي،تاج العروس،دار صادر بيروت،دت.
67. ياقوت الحموي،معجم البلدان،دار صادر،ط2،بيروت، سنة1995م.
68. كامل سليمان الجبوري،معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة2002م،ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1424 هـ / 2003م.
69. مجدي وهبة وكامل المهندس،معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب،ط2،مكتبة لبنان،بيروت، سنة1984م.
70. محمد الأزهري الهروي أبو منصور، تهذيب اللغة،تحقيق: محمد عوض مرعب، ج2 ،ط1 ،بدار إحياء التراث العربي بيروت، سنة2001.
71. محمّد التونجي،المعجم المفصّل في الأدب،ج2،دار الكتب العلمية،بيروت،سنة1419هـ/1999م.
72. محمود الشيخ،رجال الإصلاح،دط،دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع،عمان ،سنة2007م.
73. مسعود كواتي و محمّد الشريف سيدي موسى،أعلام مدينة الجزائر و متّيجة،دار الحضارة،ط1،الجزائر،سنة2007م
74. صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث،ط1،مركز الحضارة العربية،القاهرة، سنة2001م.
75. عمر رضا كحالة،معجم المؤلفين"تراجم مصنفي الكتب العربية"، دار إحياء التراث العربي،بيروت،دت.

76. الفيروز آبادي، القاموس المحيط،مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ، ط8، ج1،سنة 1426هـ-2005م

77. رابح خدوسي،موسوعة العلماء و الأدباء الجزائريين،دار الحضارة،الجزائر،سنة2002م

78. خير الدين الزركلي، الأعلام، مج6، ط14، دار العلم للملايين، بيروت، فبراير1999م.

ج-الدواوين:

79. امرئ القيس،ديوان امرئ القيس، شرح عبد الرحمان المصطاوي ط2،،دار المعرفة،بيروت، سنة2004/1425م.

80. ابن مسايب تأليفا،محمّد بن الحاج الغوثي بخوشة جمعا وتحقيقا،ديوان ابن مسايب،ابن خلدون للنشر والتوزيع،تلمسان، أكتوبر 2001.

د-الموسوعات:

81. الموسوعة العربية ، الجمهورية العربية السورية، رئاسة الجمهورية ، هيئة الموسوعة العربية، دمشق،16 سنة 2005م.

82. الموسوعة العربية،ط1،الجمهورية العربية السورية ،رئاسة الجمهورية،هيئة الموسوعة العربية،دمشق،سنة 2007م.

83. الموسوعة العربية الميسرة،ط2،دار الجيل القاهرة سنة2001.

84. محمّد أمين فرشوخ،موسوعة عباقرة الإسلام،ج1،دار الفكر العربي،بيروت ،سنة1996.

85. فواز الشعار، الموسوعة الثقافية العامة، إشراف: إميل يعقوب، ،ط1،دار الجيل،بيروت،سنة1420هـ-1999م.

هـ-الرسائل الجامعية:

86. بولعسل كمال،سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي،رسالة ماجستير،إشراف يوسف وغليسي،جامعة منتوري قسنطينة،كلية الآداب واللغات،2005-2006م.

87. فاطمة بوطبسو،ادبية الخطاب في رحلة"نور الاندلس"لأمين الرّحياني،رسالة ماجستير،إشراف عبد الله حمادي،جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات،2010-2011،

و-الدوريات:

88. يوسف وغليسي،رسائل العلّامة محمّد الخَضر حسين قراءة في التواصل اللغوي ووظائفه،مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق.

89. أحمد عبد العزيز أبو عامر، الشيخ محمد الخضر حسين،مجلة البيان،ع3، ، المنتدى الإسلامي، الإصدار الأول، ربيع الآخر 1407هـ /ديسمبر1986م.

90. محمّد الخضر حسين، مجلة نور الإسلام،محمد بن عبد العزيز إدارة، المطبعة الحدثية،القاهرة،محرم 1349هـ.

91. محمّد الخضر حسين،مجلة لواء الإسلام، ع1القاهرة،،1رمضان1366هـ/19يوليو(جويلية)1947م.
92. محمد الخضر حسين،مجلة مجمع اللغة العربية،المطبعة الأميرية،بولاق القاهرة،سنة1935م.
93. محمد الخضر حسين،مختارات من تراث شيخ الأزهر الأسبق محمد الخضر حسين،هدية مجلة الأزهر المجانية لعدد ربيع الأول 1422هـ.
94. مجلة المجمع العلمي العربي ،مطبعة الترقي،دمشق، 1نيسان (ابريل)1958م /11رمضان1377هـ،
95. مجلة المجمع العلمي العربي،مطبعة النشر.
96. المجمعيون،مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،سنة1368هـ/1966م.
97. محب الدين الخطيب،مجلة الزهراء،سنة 1343-1347هـ/ 1924-1930م .
98. كارين صادر،دمشق في عيون الرحالة الفرنسيين،مجلة التراث العربي،ع11، إتحاد الكتاب العرب بدمشق،دمشق،جمادى الثانية1430هـ/حزيران(جوان)2009.
99. مازن عوض الوعر،« التفكير اللغوي عند الجغرافيين و الرحالة العرب فيضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة » مجلة التراث العربي،ط2،الدار العربية للكتاب،القاهرة،جمادى الأولى1423هـ-يوليو2002م
100. حسين محمّد فهيم عالم المعرفة"أدب الرحلات"،ع138،المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ،الكويت، يونيو1989م.
101. محمّد محمود الخزعلي،« لسان الدين بن الخطيب وأدب الرحلة » ،مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ع39،ذو الحجة 1427م
102. زوهري وليد: أدب الرحلة الجزائريين إلى مكة و المدينة، دراسة وصفية تحليلية،مجلة الدراسات اللغوية و الأدبية، ع1، يونيو 2012
103. فاطمة قاسمي ،"فن الرسالة وأدب الرحّالة قديما في توات"،الأثر ، ع10،جامعة أدرار.
104. عبد الملك مرتاض:في نظرية الرواية،مجلة عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت، ديسمبر1998م،

ز-الكتب الأجنبية:

105. أغناطيوس يوليا نوقتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم، ،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،سنة1963م.
106. مصطفى بن حموش، ترجمة وتعليقا،مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني،دار الأمة،الجزائر، سنة2010م ،
107. س.هوارد ، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ،أشهر الرحلات إلى غرب إفريقيا،ج1،الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة1996م.

ح-المواقع الإلكترونية:

.

108. أبو رامة aburama،أعلام الدعاة "محمد الخضر حسين"،مركز المعلومات بالإذاعة السودانية، يوم 2013/02/28م، الساعة18:35.

109. www.wikipedia.comيوم28.02.2013على18:30

110. أحمد فارس الشدياق،الساق على الساق في ماهو الفارياق الشدياق،نسخةpdf:

111. w.w.w.al-mostafa.com

112. محمد بن إبراهيم الحمد، مقالات لكبار كتاب العربية في العصر الحديث،سنة1425هـ، www.toislam.net.

.

فهرس

الموضوعات

.

مقدمة.....أ
مدخل:قراءة في مصطلحات العنوان.....2-14
المبحث الأول:مفهوم أدب الرّحلة.....6
أولا:لغة.....6
ثانيا:اصطلاحا.....6
المبحث الثاني:ترجمة الشيخ محمّد الخضر حسين.....8
أولا:في تونس.....8
ثانيا:عدم الاستقرار.....10
ثالثا:في مصر.....12
الفصل الأول:عن الرحلة والرحالة.....16-30
المبحث الأول :دواعي الرحلة و أنواعها و أهميتها.....16
أولا: دواعي الرحلة ،وأقسامها. 16
ثانيا: أنواع الرحلات.....18
ثالثا:أهمية الرحلات.....20
المبحث الثاني: نشأة الرحلة وتطورها.....21
أولا:أدب الرحلة في العالم.....21
ثانيا: أدب الرحلة عند العرب.....23
ثالثا: أدب الرحلة عند الجزائريين.....27
الفصل الثاني: أدب الرحلة عند محمّد الخضر حسين..... 32-54
المبحث الأول: ماهية الرحلة عند محمّد الخضر حسين.....32
أولا :خصائص الرحلة عند محمّد الخضر حسين.....33
ثانيا:دوافع الرحلة الجزائرية وأهدافها.....34
ثالثا:قيمة الرحلة وأهميتها.....35
المبحث الثاني: الدراسة الوصفية التحليلية للرحلة الجزائرية.....35
أولا:الأحداث.....36

.

ثالثا:سلم التواريخ والأزمنة.....40
ا-زمن الرّحالة.....40
ب-زمن المكان المرتحل إليه 41
1-البيئة السياسية.....41
2-البيئة الفكرية والثقافية.....42
3-البيئة الاجتماعية. 43
رابعا:سلم الأمكنة.....44
ا-العمارة المدنية 44
ب-العمارة الدينية 45
خامسا:الوقف.....47
ا-المسائل العلمية.....47
ب-وصف حلقات الدرس.....50
ج-وصف المركب.....51
سادسا:معجم الرحلة.....52
ا-الرحلة والسفر.....52
ب-البنية اللغوية.....52
خاتمة.....**56**
مسرد المصادر و المراجع.....**59**
فهرس الموضوعات.....**67**